
على مفترق طريقين

بسم الله الرحمن الرحیم

على مفترق طريقين

كاتب:

آیت الله العظمی ناصرمكارم شيرازى (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (ع)

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

على مفترق طريقين

اشارة

عنوان و نـام پديـدآور : على مفترق طريقين/مكـارم الشـيرازى مشـخصات نشـر : قـم: مـدرسه الامـام على بـن ابى طـالب(ع)، ۱۴۲۹ق.=۱۳۸۷ش. مشخصات ظاهرى : ۱۸۴ص. وضعيت فهرست نويسى : در انتظار فهرستنويسى (اطلاعات ثبت) يادداشت : الطبعه الثانى شماره كتابشناسى ملى : ۱۵۱۴۰۸۶

إشارة

ينقسم الوهابيون فى هذا العصر إلى قسمين: ۱- الوهابيون المتعصبون الذين يتهمون جميع المسلمين فى العالم سواهم بالكفر والشرك ويفتون باستباحة دمائهم وأموالهم، ومن أبرز خصائص هذه الطائفة، الجمود الفكرى والتعامل مع الآخر من موقع الخشونة والخصومة، والتهرب من الحوار المنطقى والعقلى، وقد ارتكبوا فى أفغانستان والعراق والباكستان وحتى فى موطنهم الأصلى «العربية السعودية» من المجازر وأشكال العنف والقسوة بحيث إنّ جميع العالم يعيش الكراهية لهم وقد رسموا للإسلام صورة مشوهة يستغرق تطهير أفكار البشرية من آثارها سنوات مديدة. وقد وصل هؤلاء فى هذا العصر إلى طريق مسدود وهم على مقربة من نهاية العمر و سيتركون الساحة قريباً. ۲- الوهابيون المعتدلون المثقفون من أهل المنطق والحوار الذين يحترمون أفكار وعقائد سائر المفكّرين ويجلسون على طاولة الحوار البنّاء مع سائر المسلمين. هؤلاء لا يفتون بقتل غيرهم ولا يرون المسلمين من المذاهب على مفترق طريقين، ص: ۶ الاخرى كفاراً ومشركين، ولا يحكمون بإباحة أموالهم وأعراضهم، ونشاهد امتداد هؤلاء فى الأوساط الثقافية أكثر ويزداد أتباعهم يوماً بعد آخر. وهذه الظاهرة تمثل طليعة مباركة للعالم الإسلامى حيث انتشرت آثارهم وكتبهم فى الحجاز فى الآونة الأخيرة وظهرت أفكارهم على صفحات الجرائد والصحف ومن خلال المقابلات التلفزيونية. أمّا تفصيل هذا الموضوع فستجدونه فى هذا الكتاب. قم- ناصر مكارم الشيرازى تشرين الثانى ۱۹۷۴ م

الفصل الأوّل عوامل السقوط

هل تقترب الوهابية من نهاية عمرها؟

صدر لى كتاب قبل عشر سنوات من سقوط الاتحاد السوفيتى «۱» بعنوان «نهاية عمر الماركسية» «۲» ، وقد أكّدت فى هذا الكتاب ومن خلال القرائن والشواهد الموجودة، على نهاية عمر الماركسية قريباً وأنّ التيار الشيوعى فى طريقه إلى الافول، وقلت فى مقدمة هذا الكتاب: «إننى أعتقد بهذه الحقيقة التى قد تبدو صعبة ومرّة لدى البعض، وكذلك عجيبة لدى البعض الآخر، وهى أنّ الماركسية تقترب من نهاية عمرها وتقف على منزلق الافول والزوال، وأقول بصراحة إنّ الماركسية فى نظر المفسّرين الأحرار تعتبر مذهباً فكرياً يتعلق بالماضى ولابدّ من وضعها فى متحف التاريخ. إنّ الماركسية قد جرّبت مختلف الطرق ومع ذلك فشلت فى الوفاء بوعودها للمجتمع البشرى، فهذه المدرسة لا تعد اليوم مدرسة فكرية حيّة من منظور منطقى وفلسفى وبقيت أحلام «ماركس» و «انجلس» «ولينين» فى كثير من الموارد بدون «تعبير» أو تبيّن خطأُها فى واقع على مفترق طريقين، ص: ۱۰ الممارسة والتجربة. إنّ الماركسية عبارة عن فكر لا يستطيع مواكبة العصر وقد تجلّت المثالية والطوباوية لهذا الفكر بصورة مشهودة. إنّ الماركسية تنحدر فى طريقها إلى العزلة التامة والتمزّق لعشرات الفرق المتناثرة فى جميع بلدان العالم بحيث لا نجد فى «ماركسية الرفيق ماو» شبهاً «لماركسية أنور خوجه» أو «فيدل كاسترو» وقس على هذا ...» «۱». أجل، فقد انهار الاتحاد السوفيتى كما كان المتوقع له، وكان مصيره، مع كل

ادّعاءات الماركسية من البشارة بزوال الرأسمالية وسيطرة الشيوعية على جميع أرجاء العالم، أن وضع فى متحف التاريخ. إنّ هذا التوقع لمصير الماركسية ليس من قبيل «علم الغيب» و «لا الكهانة» بل ينطلق من فهم الطبيعة الماركسية. والآن نعيش فى هذا العصر الشواهد والقرائن الكثيرة على نهاية «عمر الوهابية المفرطة» إذ يفقد هذا المذهب أتباعه وحماته بسرعة ويتوجّه نحو متحف التاريخ، ونرى معالم هذا الانهيار واضحة وجليّة فى هذه الحركة، فهناك عوامل فى داخل اصول «الوهابية المفرطة» لا تدعو لدوامها ولا تقبل باستمرار حياتها خاصة فى عالمنا المعاصر. هذه العوامل عبارة عن: ۱- القسوة والخشونة المفرطة. ۲- فرض العقيدة. على مفترق طريقين، ص: ۱۱ ۳- التعصب الشديد والمفرط. ۴- عدم معرفة القيم والثقافة المعاصرة. ۵- الجمود والتصدى لكل ظاهرة جديدة. ۶- ضعف المنطق والاستنباط الخاطىء لستة مفردات قرآنية. وستجد تفاصيل هذه الامور فى الابحاث اللاحقة. على مفترق طريقين، ص: ۱۳

۱- القسوة والخشونة المفرطة

اشارة

إنّ استخدام العنف والقسوة المفرطة عند الوهابيين المتشددين لا يخفى على أحد، فظاهرة القتل الفجيع التى يرتكبها الوهابيون بحق المسلمين «لا الكفار الحربيين» طيلة تاريخ هذا المذهب، موحشة ورهيبة جدّاً. إنّ الجميع يتذكر سيل الدم الذى سفكك من الشيعة فى مدينة كربلاء ونهب أموالهم وتدمير هذه المدينة المقدّسة. «۱» والأعجب من ذلك، المجزرة الرهيبة التى ارتكبها هؤلاء فى مدينة الطائف بحق المسلمين من أهل السنة. وتشير هذه الأرقام إلى أنّ العنف والقسوة يدخلان فى صميم تعاليم الوهابية، وسبب ذلك استنباطهم الخاطىء من مفردة الكفر والإيمان، والتوحيد والشرك، حيث يتهمون أى مسلم بالشرك بسهولة ويهرعون بعد ذلك لاستباحة دماء وأموال المسلمين كما سيأتى بيانه إن شاء اللّه. على مفترق طريقين، ص: ۱۴ إنّ إمام هذه الطائفة- وطبقاً للوثائق القطعية التى سنشير إليها لاحقاً- يعتقد بأنّ المسلمين فى عصره أشدّ كفراً من المشركين فى زمان الجاهلية، وبهذا النمط من التفسير يتضح جليّاً المصيبة التى ستنزل بالمسلمين، حيث يكفينا إلقاء نظرة على مجريات الأحداث فى عصرنا الحاضر دون الحاجة إلى مراجعة التاريخ، إنّ من جملة الثمار المرّة لشجرة العنف هذه تمثلت فى هذا الزمان بحركة «الطالبان» و «جيش الصحابة» وبعض التشكيلات الاخرى، كالقاعدة، ورأينا الصورة القبيحة التى رسمها هؤلاء عن الإسلام فى أذهان البشرية، وكيف أنّهم وجهوا بذلك ضربة شديدة للإسلام الذى تحرك ليمتد إلى مختلف أرجاء المعمورة. واللازم فى البداية ان نعترف قليلًا على حركة الطالبان.

حركة الطالبان

لقد تأسست هذه الحركة عام ۱۹۹۴ م بواسطة ملا محمد عمر فى مدينة «قندهار» الواقعة إلى الجنوب من أفغانستان، وقد امتدت سيطرتها منذ عام ۱۹۹۶ الى عام ۲۰۰۱ لتشمل معظم بلاد أفغانستان. بدأت حركة الطالبان بصورة ضعيفة فى بداية أمرها منذ سنة ۱۹۷۹ إلى ۱۹۸۵ حيث كانت أفغانستان تحت سيطرة القوات الروسية وكانت تعيش الحرب والفوضى ممّا مهّد ذلك الأرضية لخلق حركة الطالبان. على مفترق طريقين، ص: ۱۵ وفى عام ۱۹۸۰ م احتلت الجيوش السوفيتية أفغانستان وبدأت القوى الإسلامية فى أفغانستان بالتصدى للقوات المحتلة بدعم أمريكى، ولهذا لم يستمر الاحتلال الروسى لأفغانستان طويلًا. وبعد انسحاب القوات السوفيتية من بعض المدن مثل ازبك وتاجيك فى عام ۱۹۸۹ م وجدت مجموعات مسلحة صغيرة الفرصة لنيل امتيازات سياسية فى ذلك الوقت، وفى تلك الأيّام برزت قوّات الطالبان بعنوان حركة إسلامية جديدة. لقد عزم أفراد هذه الحركة، وهم من أصل «بشتو» على مدّ نفوذهم وسيطرتهم إلى جميع أنحاء البلاد وتسخير الحكومة المركزية فى كابل العاصمة، وفى هذه المدّة كانت أمريكا تمدّهم

بالسلاح والقوة العسكرية. وفى بداية تشكيل هذه الحركة انظم لها آلاف الشباب الذين كانوا يعيشون فى مخيمات اللاجئين وأكثرهم من اليتامى وبدون قيّم. لقد طرح الطالبان أنفسهم على أساس أنّهم «جيش الصلح» وبذلك ضمنوا لهم تأييداً شعبياً واسعاً من جماعة البشتو الذين تعبوا من حالة الفوضى والحرب المستمرة فى بلادهم، فى حين أنّ الكثير من أفراد حركة الطالبان كانوا قد درسوا فى مدارس الوهابيين المتشددين فى باكستان. وقد بدأ الطالبان حربهم عام ۱۹۹۴ إلى ۱۹۹۵ م فى المنطقة الجنوبية والغربية من أفغانستان وقندهار وسيطروا على هرات وسائر المدن المجاورة، وفى عام ۱۹۹۵ م وصلوا إلى أطراف كابل، ولكن على مفترق طريقين، ص: ۱۶ القوات الحكومية تمكنت من دحرهم فى ذلك العام، ولكنّ الطالبان استمروا فى السعى لاحتلال كابل إلى أن تمكنوا من ذلك فى عام ۱۹۹۶ م وسيطروا على العاصمة تماماً، وكانت نتيجة هذه المعارك وقوع خمسين ألف قتيل! وقد استطاع «برهان الدين ربانى» و «قُلب الدين حكمت يار» الهرب إلى شمال البلاد، وقام الطالبان بعد احتلالهم العاصمة كابل بإعدام «محمد نجيب اللّه» رئيس الحكومة السابقة الموالية للاتحاد السوفيتى. وفى هذه الفترة قام الطالبان بتطبيق قوانينهم القاسية وأحكامهم المذهبية التى تستمد مقوماتها من المذهب الوهابى المتشدد. وقد أسس ملا محمد عمر الذى يعتبر أعلى عضو فى حركة الطالبان، شورى مكوّنة من أعضاء الحركة فى أعلى المراتب، ولكنّ القانون النهائى يجب أن يصدر بإمضاء «ملا- محمد» ليقع موقع التنفيذ. وقد كان الطالبان يبثون نداءاتهم وقوانينهم من راديو كابل وكذلك بواسطة مكبّرات الصوت المثبتة على الشاحنات، وقاموا بتعطيل دور السينما والمسرح وإجبار الرجال على إقامة الصلوات فى المساجد من خلال القوة والجلد بالسياط وعطلوا مدارس البنات ومنعوا عمل النساء خارج البيت. وكانت نتيجة ذلك عزل أكثر الموظفين فى المستشفيات فى حين أنّ الكثير من النساء فى أفغانستان كنّ قد فقدن أزواجهنّ فى الحروب الدامية وعجزن بذلك عن تأمين نفقات المعيشة. وقام الطالبان بإنزال العقوبات القاسية بالمجرمين بدون تشكيل على مفترق طريقين، ص: ۱۷ محكمة وذبحهم كالخراف، وليس مهماً لديهم من يقتلون، شيعى أو سنّى، إنّهم يذبحون كل مخالف لهم. وبذلك وجد «اسامة بن لادن» مكاناً آمناً فى أحضان الطالبان، لأنّه قدّم مساعدات كبيرة فى عقد الثمانينات لصالح أفغانستان وضد الاتحاد السوفيتى، وفى نهاية الحرب المذكورة تأسست منظمة «القاعدة» وبذلت جهوداً كبيرة فى تقوية ودعم حركة الطالبان حيث كان أفرادها يقاتلون مع الطالبان جنباً إلى جنب ضد قوى الائتلاف فى شمال أفغانستان. وقد أدرك الأمريكيون أنّ «ابن لادن» رجل ارهابى ونابغة من خلال هجومه عام ۱۹۹۸ على سفارة أمريكا فى كينيا وتنزانيا وكانت حصيلة ذلك الهجوم قتل ۲۵۰ أو ۱۹۰ شخصاً وأكثر من ۱۴۰۰ جريح. ويقول الأمريكيون: إنّ الهجوم الارهابى التى تعرضت له أمريكا فى ۱۱ أيلول كان بتوسط ابن لادن، وبديهى أن تطلبه أمريكا من الطالبان ولكن زعيم الطالبان رفض هذا العرض رفضاً قاطعاً لأنّه كان بنفسه يدور فى فلك «ابن لادن»، وكان يعتقد أنّ مصالحه فى بقاء ابن لادن إلى جانبه. وفى شهر اكتوبر بدأت أمريكا هجومها ضد الارهاب وخصصت قسماً من هذا الهجوم لحركة الطالبان والقاعدة، وقد رافقتها بريطانيا فى هذا الهجوم، وفى هذا الوقت تحركت قوى الإئتلاف فى الشمال لتوجه ضربتها ضد الطالبان بدعم من القوات الامريكية واستطاعوا على مفترق طريقين، ص: ۱۸ أخيراً العودة إلى كابل والاستيلاء على ا لمدن المهمّة فى أفغانستان وطرد طالبان منها وبالتالى فقدت حركة الطالبان القدرة على المقاومة تماماً وسلّمت مدينة «هرات» إلى القوات الغازية فى ذلك العام نفسه. عندما وصل الطالبان إلى أوج القدرة والسلطة كانوا يستمدون العون من باكستان والسعودية وأمريكا، ولكنّ هذا الدعم العسكرى والمادى قد توقف بعد حين. وعلى أساس تخمينات المطّلعين فإنّ حركة الطالبان فى عام ۱۹۹۵ و ۱۹۹۶ كانت بحاجة إلى (۷۰) مليون دولار سنوياً لضمان استمرار نشاط الحركة وحيويتها. وقد كتبت صحيفة هندية «التحليل الاستراتيجى» أنّ القسم الأكبر من هذه الميزانية كان يصل إلى حركة الطالبان من المملكة العربية السعودية. وتقول صحيفة «نيوز ويت» فى إحدى تحليلاتها عن هذا الموضوع: إنّ الرياض تعد أهم منبع مالى لحركة الطالبان. وقد التقى «الملا محمد عمر» زعيم حركة الطالبان فى إحدى سفراته إلى السعودية بالمسؤولين الكبار فى هذا البلد وعقد معهم عدّة مباحثات وحصل على معونة بمبلغ ۱۰ ملايين دولار لضمان نشاط حركته وإدامة عمليات العنف والارهاب التى تعزم القيام بها هذه الحركة، ولكن كما تقدمت الإشارة إليه فإنّ هذه

الـدول أعرضت بعد حين عن حركة الطالبان وألقت بحكومة الطالبان فى مزبلة التاريخ. على أيّة حال، فبسبب عمليات العنف المتتالية واللامحدودة لأفراد هذه الحركة، وقف العالم منهم موقف المتفرج عندما قامت على مفترق طريقين، ص: ١٩ أمريكا التى تمثل قاعدة العنف والارهاب فى العالم، بالهجوم على أفغانستان، بل إن دول العالم ساهمت فى اسقاطهم، وبالرغم من المشاكل والصعوبات التى واجهها الشعب الأفغانى من الاستعمار الأمريكى الجديد، إلّاأنّ الشعب الأفغانى رجّح القوات الأمريكية على الطالبان، لأنّ الافغانيين يرون أنّ عنف وقسوة الطالبان أشنع وأشد من عنف الأمريكيين وقسوتهم. وكما تقدم أنّ الطالبان منعوا البنات والنساء من التحصيل العلمى وحاربوا مظاهر الحياة الجديدة مهما كانت مفيدة ونافعة باعتبار أنّها «بدعة». ومن جهة، كان الطالبان يتعاملون مع الشباب الذين يحلقون لُحاهم من موقع التوبيخ وأحياناً يزجون بهم فى السجون، إلّاأنّهم، من جهة اخرى، سمحوا بزراعة المخدرات بشكل واسع وساهموا بشكل فعّال بتصديرها إلى خارج أفغانستان، وفى نفس الوقت أفتوا بحرمة تدخين التبغ!! والسبب هو عائدات المواد المخدرة الضخمة على البلاد بحيث كانوا يشترون الأسلحة من هذه العائدات المالية لقتال اخوتهم فى الدين، ولا أحد يفهم جيداً كيفية الجمع بين هذه الامور المتناقضة عملياً، فالتدخين حرام، وإعفاء اللحية واجب، وفى نفس الوقت يجوز زراعة وتهريب المواد المخدرة والمحرمة كالهروئين والترياق!! «١» على مفترق طريقين، ص: ٢٠ والآن نلقى نظرة على جيش الصحابة.

جيش الصحابة

لقد عاش الشيعة وأهل السنة فى شِبه القارة الهندية قروناً متمادية جنباً إلى جنب، على أساس الاخوة الإسلامية، إلى أن جاء الوهابيون المتعصبون وشرعوا بالتعرض للشيعة بالقتل والتنكيل، وسمّوا أنفسهم «جيش الصحابة» حيث قاموا باغتيالات وأشكال فجيعة من القتل فى صفوف هذه الطائفة من المسلمين وأخذوا يقتلون الرجال والنساء والأطفال بشكل عام، ومن جهة اخرى قام بعض الشيعة أيضاً ومن موقع ردّة الفعل بالانتقام لقتلاهم. وهكذا سادت أجواء الرعب والفوضى فى ذلك المحيط الآمن، إن ظهور جيش الصحابة وكيفية نشاطاته جاءت على لسان وكالات الأنباء العالمية كالتالى: إنّ هذ الجيش يدّعى أنّه من أتباع نبى الإسلام والدين الإسلامى، ولهذا السبب أطلقوا على أنفسهم «جيش الصحابة» وهم جماعة من المتعصبين والمتشددين ويمثلون فرقة من فرق أهل السنّة. تأسست هذه الفرقة فى بداية ١٩٨٠ بواسطة رجل سنّى يدعى «مولانا حق نواز جهان گويى» واتفق ذلك فى بدايات الثورة الإسلامية فى ايران، والغرض من تأسيسها تحجيم تأثير الثورة الإسلامية الايرانية على الشعب الباكستانى. إنّ أحد الأهداف المهمّة لهذه الجماعة هو التصدى لمواكب العزاء على مفترق طريقين، ص: ٢١ فى ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام. وقد طلبت مجلة «الخلافة الراشدة» مرات عديدة طيلة سنوات صدورها من الحكومة الباكستانية، الحدّ من هذه المظاهر الدينية وازالة جميع الحسينيات والمراكز الشيعية ومنع إقامة مراسم العزاء للإمام الحسين عليه السلام فى جميع المدارس والجامعات. ومن الطبيعى أنّ الحكومة الباكستانية لم تستجب لهذه المطالب. ومن الأهداف الاخرى لهذه الجماعة محاربة حركة شيعية باسم «تحريک جعفرى» التى تأسست فى باكستان فى عام ١٩٧٩. وأحد الأسباب الرئيسية لتشكيل جيش الصحابة هو مناهضة الخطر الشيعى وبدافع الخوف من نمو قدرة الشيعة السياسية والمذهبية والعسكرية فى المنطقة، وعلى أساس الاحصاءات التى أعلنها «پرويز مشرَّف» فإنّ عدد القتلى بلغ فى عام واحد ٤۴ نفراً من الطرفين خلال المواجهات المسلحة بين هاتين الحركتين. ومضافاً إلى هجمات فرقة «جيش الصحابة» العدوانية على الشيعة فى باكستان فإنّ الايرانيين المقيمين فى باكستان لم يسلموا من تحرشاتهم وعدوانهم بذريعة أنّ هؤلاء الايرانيين مدعومون من قبل الحكومة الشيعية فى ايران فلابدّ من اجتثاثهم وإزالتهم!! ويهدف جيش الصحابة إلى الاعلان عن (باكستان سنّية تماماً) حيث توجد قلاع عسكرية محصنة لهذه الفرقة فى أكثر المناطق الجنوبية فى الباكستان، وكذلك فى المنطقة المركزية والمزدحمة «بنجاب» وعلى حدود كراچى، ويبلغ عدد المكاتب الفعّالة لهذه على مفترق طريقين، ص: ٢٢ الجماعة «٥٠٠» مكتبٍ، ويوجد فى كل قسم من محافظة «بنجاب» فرع لهذه الجماعة التى يبلغ عددها ١٠٠ ألف نفر ولديهم نشاطات فى بلدان ودول اخرى مثل الامارات والعربية المتحدة، والمملكة

السعودية، وبنكلادش، وكندا، و ... وإنّ الكثير من المدارس والحوزات العلمية فى ولاية بنجاب تدار بواسطة هذه الجماعة، والأخبار الواصلة تؤكد أنّ الكثير من المدارس الدينية السنية فى خارج الباكستان تدار تحت اشراف معلمين من قوات «جيش الصحابة»، حيث يتمّ تدريب الأفراد على مهمّة اغتيال المخالفين. وقد اغتيل «مولانا جهان گويى» عام ۱۹۹۰ م وكان قد اشترك فى ذلك العام نفسه فى انتخابات الشورى الوطنية بيدَ أنّه لم يكسب هذه الانتخابات لصالحه، ولكنّه كان يتمتع بشعبية واسعة بين أفراد هذه الجماعة. وقد استلم «مولانا أعظم طارق» مسؤولية قيادة هذه الجماعة بعده. وقد كان «جيش الصحابة» مؤيداً ومحمياً من قبل حركة الطالبان وبدوره أعلن «أعظم طارق» عن حمايته السافرة لزعيم حركة الطالبان وكان يؤيد بشدّة قوانينهم التعسفية مثل تحريم التلفزيون، وقد كان أعظم طارق فى البداية يدافع عن «لشكر جهان گويى» ولكنّه بعد ذلك وفى عام ۲۰۰۳ م أنكر علاقته ب «لشكر جهان گويى» وادّعى أنّ بعض أعضاء جيش الصحابة يخالفون المنهج المسالم لإجراء وتطبيق القوانين الإسلامية، ولذا أسّسوا «لشكر جهان گويى» واهتمّ أعظم طارق بقيادة (۱۰۳) عمليات لاغتيال رموز الشيعة وشخصياتهم. على مفترق طريقين، ص: ۲۳ أمّا المصدر المالى المُموِّل لهذه الجماعة فإنّه يتمثل بأثرياء السعودية ودول الخليج من أهل السنّة المتشددين، وأحياناً يحصلون على المعونات من الفرق المتشددة فى الداخل مثل «جماعت اسلامى» و «جماعت علماى اسلام» وسائر الفرق والحركات الموالية الاخرى، وفى عام ۲۰۰۱ م قررت حكومة الباكستان التصدى للجماعات المتشددة، ولكنّ جيش الصحابة استمر فى نشاطه المخرّب بعد خمسة أشهر من هذا القرار، ومن هنا تحرك «پرويز مشرف» فى ۱۲ جانويه عام ۲۰۰۲ لمنع نشاط جيش الصحابة وأعلن عن ذلك رسمياً، ثم هاجمت القوات الباكستانية هذه الجماعة وألقوا القبض على الكثير من أفرادها. بعد هذه الحادثة استمر أعظم طارق فى نشاطاته تحت عنوان جديد وباسم «ملت اسلاميه» وحصل على مبالغ طائلة من أتباعه فى الخارج. وفى ۱۵ نوفمبر عام ۲۰۰۳ م أعلنت الحكومة الباكستانية عن منع نشاط هذه الجماعة أيضاً وألقت القبض على أعضائها الأصليين وأوصدت حساباتهم المصرفية وهاجمت مواقع اجتماعاتهم فى البيوت والمساجد وسائر الأماكن الاخرى، وقد ألقت الحكومة الباكستانية أيضاً القبض على ۶۰۰ شخص كانوا يعملون فى نشاطات اخرى لصالح هذ الجماعه وتحت أسماء مستعارة، وحكمت عليهم بدفع مائة ألف روبيه كضمان. فى بداية شهر أكتوبر ۲۰۰۱ تمّ القاء القبض على «أعظم طارق» ولا ـ يزال قابعاً فى السجن وقد اشترك فى انتخابات العاشر من اكتوبر على مفترق طريقين، ص: ۲۴ وفاز فى هذه الانتخابات وصار عضواً فى مجلس الولاية فى بنجاب وبالتالى اطلق سراحه فى ۳۰اكتوبر، وقد شرع بعد عدّة أشهر من اطلاق سراحه بالعمل على تأييد الحكومة المنتخبة ل «ظفر اللّه خان جمالى» ومع ذلك استمر فى نشاطه الارهابى ضد الشيعة. وفى عام ۲۰۰۳ م اغتيل أعظم طارق، وانتشرت قوات الأمن بعد اغتياله فى المنطقة، وفى اليوم التالى اشترك طلّاب مدرسته فى مراسم تشييع جنازته بصخب وهياج ومرّوا بجنازته مقابل بناء المجلس فى إسلام اباد وصلّوا على الجنازة هناك، ثم هاجم هؤلاء الطلّاب المحلات التجارية والمطاعم و دور السينما وأضرموا فيها النيران ودمروا الكثير من الأماكن «۱». على أيّة حال فقد اقترن اسم «جيش الصحابة» بالعنف والخشونة والقتل الهمجى حتى قتل المصلّين فى المساجد المنتشرة فى جميع مناطق الباكستان، و اخبارها انتشرت فى كثير من الجرائد العالمية و المحليّة.

الارهاب والعنف فى العراق

لقد أظهر الوهابيون المتعصبون فى السنوات الأخيرة وجهاً آخر لإرهابهم وممارساتهم للعنف فى العراق واستطاعوا قتل الأبرياء من على مفترق طريقين، ص: ۲۵ النساء والرجال والعجزة والشباب من أتباع السنّة والشيعة والأكراد وصبغوا الأرض بدمائهم وتناثرت أبدان هؤلاء الأبرياء فى الشوارع والأزقة. ولم يقتصر العجب والذهول من هذه الممارسات على المسلمين فحسب، بل جميع الشعوب فى العالم غرقت فى دوامة الفزع من هذه الجرائم حيث تساءلوا: هل أنّ هؤلاء عطاشى لدماء البشر؟! وما الهدف الذى يبتغيه هؤلاء من هذا القتل العشوائى؟ وما هو الدين الذى يعتنقه هؤلاء؟ إنّ البعض يصر على نسبة هذه الممارسات لبقايا حزب البعث فى العراق،

ولكنّ هذا اشتباه كبير حيث استفاد هؤلاء القتلة فى كثير من المجازر، من الاسلوب الانتحارى، ونعلم أنّ البعثيين لا يستخدمون هذه الطريقة اطلاقاً، فهى طريقة الوهابيين المتعصبين فقط الذين يرون أنفسهم مسلمين، وبقية الناس مشركين يجوز قتلهم وسفك دمائهم.

العنف فى موطن الوهابية

والأعجب من ذلك أنّ هؤلاء الوهابيين المتعصبين لم يرحموا الناس حتى الوهابيين من موطنهم أيضاً حيث امتدت قسوتهم إلى تلك المناطق أيضاً وذلك من خلال الانفجارات العديدة التى هزّت الرياض وجدّة وبعض المناطق الاخرى وقتلت المواطنين الأبرياء فى على مفترق طريقين، ص: ۲۶ هذه المدن ايضاً. وقد بلغت قسوة هؤلاء أنّ خطباء صلاة الجمعة أعلنوا فى مراسم الحج عام ۱۴۲۵ ه‍ ق فى اجتماع حاشد من المصلين والحجاج براءتهم من هذه الجماعة وشجبهم لممارساتهم الارهابية الدامية ورفعوا أصواتهم بشعار «لا للتكفير ولا للارهاب» وقد وصل الأمر إلى حدّ أنّ حكومة السعودية اضطرت لتشكيل مؤتمر كبير حول «الارهاب» ودعت الكثير من الشخصيات المهمّة من دول العالم لغرض تنظيم برامج لدرء خطر الارهاب والتصدى له. ولكن من هم الارهابيون؟ إنّهم هم الوهابيون المتعصبون الذين يتهمون الآخرين بالكفر ويبيحون سفك دمائهم، إنّ حكومة السعودية أرادت بهذا العمل إعلان البراءة من هؤلاء من جهة، وتدبير خطة للتخلص من شرّهم من جهة اخرى. على أيّة حال فقد أدّت هذه الممارسات السلبية «مع الأسف» إلى تلويث سمعة الإسلام فى أذهان الكثير من الناس فى العالم، واقترن اسم الإسلام بالارهاب وصار ذريعة بيد أعداء الإسلام لبث الدعايات فى الكثير من الدول على أساس أنّ المسلمين «جماعة من القتلة!». وبالطبع فإنّ دعايات الأمريكيين وخاصة الصهاينة ساهمت كثيراً فى تقوية هذا المفهوم السلبى عن الإسلام، فى حين أنّ الإسلام دين المحبّة والصلح والعدالة وسيبقى كذلك. على مفترق طريقين، ص: ۲۷ الجميع يعلم أنّ القرآن الكريم يتضمن ۱۱۴ سورة تبدأ كلها «ما عدا واحدة» بعبارة «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» حيث تشير إلى رحمة اللَّه العامة والخاصة، وأمّا تلك السورة الواحدة التى لم تذكر فيها البسملة فكانت لإعلان الحرب على المشركين الذين نقضوا عهد الصلح مع المسلمين. إنّ القرآن الكريم يقرر بصراحة مخاطباً النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» «۱». وقد رود فى الروايات الإسلامية: «هل الدين إلّاالحب» «۲» ، فهذا الدين قد بنى على أساس الحب للّهوللرسول والصالحين ولجميع الناس، وهذا الدين القائم على المحبة قد أصابته يد التشويه من خلال الممارسات القاسيه لفرقة الوهابية إلى درجة أنّ أعداء الإسلام استثمروا ذلك كذريعة لتوجيه أقوى ضرباتهم لهذا الدين.

جذور العنف فى تعاليم علماء الوهابية

فى البداية نستعرض تاريخ موجز عن حياة وسيرة قادة الوهابية وعلمائهم من خلال ما كتبه عنهم المؤرخون فى بلاد المشرق والمغرب. المشهور أنّ «محمد بن عبدالوهّاب» زعيم المذهب الوهابى، ولد على مفترق طريقين، ص: ۲۸ عام ۱۱۱۵ ه‍ ق فى مدينة صغيرة من مدن الحجاز «العُيينة» وتوفى فى عام ۱۲۰۷ ه‍ ق كان والده من القضاة الحنابلة وكان يعلّم ابنه فى طفولته. يقول صاحب كتاب «ازالة الشبهات»: لقد كان محمد بن عبدالوهاب محبّاً للمطالعة منذ الطفولة حيث قرأ كتب «ابن تيمية» و «ابن القيم ا لجوزى» من علماء القرن الثامن الهجرى، وشكّلت هذه التعاليم أساساً لأفكاره واطروحاته. وقد ذكر كثيرون أنّ والده أدرك الانحراف الفكرى لدى ابنه الشاب وكان قلقاً من مستقبله ويحذره باستمرار من عاقبة هذه الأفكار. سافر محمد بن عبدالوهاب عدّة أسفار وبقى فترة فى مكة والمدينة ثم رحل إلى البصرة وتوجه من هناك إلى ايران وبقى فى إصفهان يدرس عند عالم يدعى ميرزا جان الاصفهانى ثم توجه إلى قم وبقى هناك مدّة قليلة وبعدها سافر إلى تركيا العثمانية والشام ومصر ثم عاد إلى شبه الجزيرة العربية «نجد» وأعلن عن عقائده وأفكاره. فى البداية واجه مخالفة شديدة من قبل جماعة وطرد من مدينة «حريملة» فتوجه إلى مدينة «عيينة» واطّلع أمير الاحساء والقطيف «سليمان بن محمد» على خطر افكاره على الامّة الاسلاميه فأمر حاكم العُيينة «عثمان» بقتله، ولكن عثمان لم يرغب فى تلويث يده بقتله، فأمر

باخراجه من المدينة، وأخيراً لجأ عبدالوهاب إلى مدينة «الدرعية» حيث كان يحكمها رجل من قبيلة غنزة يدعى «محمد بن على مفترق طريقين، ص: ۲۹ سعود» فالتقى محمد بن عبدالوهاب بهذا الرجل وعرض عليه أفكاره ووعده أن يعينه للسيطرة على جميع منطقة «نجد». فشعر «محمد بن سعود» جد ملوك السعودية أنّ بإمكانه الاستعانة بمحمد بن عبدالوهاب لتوسعة منطقته، وخاصة عندما شاهد الشباب النشيطين الذين كانوا يحيطونه ويأتمرون بأمره فبإمكانهم أن يكونوا قوة ضاربة لتحقيق أهدافه وطموحاته. وهكذا وعد ابن سعود بمساعدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدفاع عنه بشرطين: أولًا: أن لا يقيم الشيخ أيّة علاقة ورابطة مع غيره، والآخر، أن يستمر فى قبض الخراج السنوى من أهالى مدينة الدرعية، فقبل الشيخ بالشرط الأول ولكنّه رفض الثانى بشكل تلويحى وقال: إننى أرجو أن تصيب فتوحات وغنائم كثيرة أكثر من خراج الدرعية. ولا ينبغى الغفلة عن أنّ الغنائم التى كان ينتظرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب هى بالدرجة الاولى من أموال المسلمين بالحجاز ومكة والمدينة ثم سائر البلدان الإسلامية من الذين لم يعلنوا عن اتّباعهم له واعتناقهم لمذهبه، لأنّه، كما تقدمت الإشارة إليه، أنّ عبدالوهاب يرى جميع المسلمين سوى فرقته، من المشركين ويفتى باباحة دمهم وأموالهم. وقد هاجم أتباع محمد بن عبدالوهاب مدن الحجاز وارتكب مجازر فضيعة لغرض إشاعة مذهب الوهابية كما فى الفتوحات وأشكال الغزو، وحاز و اعلى ثروات طائلة. وبعد وفاة محمد بن عبدالوهاب استمر ملوك السعودية فى دعم على مفترق طريقين، ص: ۳۰ هذه الحركة وعملوا على توسعة بلادهم وسيطروا على منطقة نجد والحجاز. ومن جملة الممارسات الفظيعة جدّاً فى تاريخ الوهابية، حتى أنّ المؤرخين الوهابيين اعترفوا بها، المقتلة والمجزرة الرهيبة التى ارتكبها هؤلاء فى مدينة الطائف «۱»، والأفجع من ذلك المجزرة التى ارتكبوها فى حق أهالى العراق وكربلاء. وقد هاجم الوهابيون فى تاريخ ۱۲۱۶ ه ق «أى بعد عشر سنوات من وفاة محمد بن عبدالوهاب» مدينة كربلاء عدّة مرّات لغرض نيل الغنائم وفتح البلدان تحت عنوان نشر التوحيد «التوحيد الذى يزعمونه» وكذلك هجموا على مدينة النجف، وبالنسبة إلى حادثة كربلاء فقد استغل الوهابيون فرصة زيارة أهالى كربلاء إلى مرقد الإمام على عليه السلام فى النجف الأشرف وباغتوا هذه المدينة بهجوم عنيف واستطاعوا تخريب السور المحيط بالمدينة والنفوذ إلى داخلها وقتل آلاف من أهالى كربلاء من النساء والأطفال فى شوارع المدينة وأسواقها، وبعد ذلك حملوا ما استطاعوا حمله من أموال الناس ونهبوا ممتلكاتهم ثم هجموا على ضريح الإمام الحسين عليه السلام الذى كان يحوى نفائس كثيرة وتمكنوا من تخريبه وسرقة محتوياته من الجواهر والنفائس بأجمعها. على مفترق طريقين، ص: ۳۱ وقد ذكر البعض أنّ عدد القتلى بلغ ۱۵۰ ألف شخص، ويقال إنّ الدم قد سال فى شوارع وأزقة كربلاء كالجداول، والملفت للنظر أنّهم يرون أنّ هذا العمل «جهاد فى سبيل اللّه» وحركة من أجل نشر راية التوحيد!! لقد ذكر هذه الواقعة الكثير من المؤرخين الشرقيين والغربيين وحتى المؤرخين الوهابيين ويمكنكم مراجعة كتب التاريخ للمملكة العربية السعودية بعناوين «المجد فى تاريخ النجد» و «تاريخ العربية السعودية» للمؤرخ المستشرق «ناسى ليف» و «مفتاح الكرامة» للسيد جواد العاملى وكتب اخرى «۱». نعود إلى موضوع جذور العنف فى المذهب الوهّابى. على أيّة حال فقد ألّف محمد بن عبدالوهاب عدّة كتب قليلة بيّن فيها عقائده وأفكاره بصراحة وشفافية. كان هذا الشيخ قليل المعرفة بالعلوم الإسلامية ولم يدرس اطلاقاً فى الحوزات العلمية المهمة فى العالم الإسلامى ولم يحضر لدى كبار العلماء فى عصره كثيراً، ولهذا نرى أخطاء فاحشة فى أفكاره وتصرفاته، ومع الأسف أنّه كان مصراً على هذه الأفكار الخاطئة و غير المستقيمة. على مفترق طريقين، ص: ۳۲ إنّ أحد كتب عبدالوهاب هو «كشف الشبهات»، وقد ألّف هذا الكتاب الصغير، كما يبدو من اسمه، لغرض الاجابة على الإشكالات التى أوردها علماء البلاد و «أغلبهم من أهل السنّة» على أفكاره «۱». ويكفينا لمعرفة جذور العنف فى عقائد الوهابيين مطالعة هذا الكتاب ودراسة محتوياته .. ۱- إنّ المؤلف استوحى فهماً خاطئاً عن «التوحيد» و «الشرك»، وكما سيأتى فى البحوث اللاحقة أنّه يتهم جميع من يطلب من رسول اللّه صلى الله عليه و آله الشفاعة عند اللّه، بالشرك والكفر «فى حين أنّ مفهوم الشفاعة موافق لصريح الآيات والروايات» ويفتى بإباحة دمهم ومالهم وعرضهم «۲». وبديهى أنّ جميع المسلمين من الشيعة والسنّة «سوى الوهابيين» يطلبون من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الشفاعة عند اللّه تعالى، وعلى هذا الأساس فانّ هؤلاء المسلمين كفرة فى نظر الوهابيين ويباح دمهم وأموالهم

ونساؤهم. ٢- الأنكى من ذلك أنّه يقول بصراحة «إعلم أنّ شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين: الأول: إنّ الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء على مفترق طريقين، ص: ٣٣ والأوثان مع اللّه إلّافى الرخاء، وأمّا فى الشدّة فيخلصون للّهالدعاء كما قال تعالى: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» «١». الثانى: إنّ الأولين يدعون مع اللّه اناساً مقرّبين عند اللّه ... وأهل زماننا يدعون اناساً من أفسق الناس «٢». «والظاهر انّ مراده من قوله اخيراً «افسق الناس» بعض زعماء الصوفية». وطبيعى أن يكون هذا الاستنتاج الخاطىء حصيلة سلسلة من المغالطات الفكرية التى سوف نستعرضها فى آخر فصل من هذا الكتاب، وهنا نهدف إلى الكشف عن جذور العنف لدى الوهابيين تجاه نفوس المسلمين وأموالهم وأعراضهم. ٣- النموذج الآخر على العنف فى الفكر الوهابى أنّهم يطلقون على مخالفيهم، وهم من كبار علماء أهل السنّة أثناء الحوار معهم، ألقاباً وقحة وموهنة، على سبيل المثال: يقول فى أحد الموارد: أيّها المشرك «٣». وفى مورد آخر: أعداء اللّه «۴». وفى مورد ثالث: للمشركين شبهة اخرى «۵». على مفترق طريقين، ص: ٣۴ وفى مورد آخر: هؤلاء المشركون الجهال «١». وفى مورد آخر: أعداء التوحيد «٢». ويقول فى مكان آخر: إنّ أحد الأشخاص من العوام والاميين يغلب ألفاً من العلماء المشركين «أى المسلمين الذين يعتقدون بالشفاعة» «٣». وكما تقدمت الإشارة إليه أنّ إمام هذا المذهب لم يكن يتمتع إلّا بحصيلة علمية ضئيلة من المعارف الإسلامية، ويبدو أنّه قد امتلكه الغضب من اجابات علماء عصره الكبار، ولهذا اقترن خطابه بأشكال من الكلمات الموهنة واتهامات الشرك والكفر والجهل للطرف المقابل، فى حين أنّ القرآن الكريم يقرر بصراحة: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...» «۴».

ضوء أخضر للعنف

يستفاد ممّا تقدم آنفاً، السبب الذى يقف وراء التعامل الخشن للطالبان و القاعدة وسائر الوهابيين المتعصبين وسهولة إراقتهم لدماء المسلمين فى مناطق مختلفة من العالم واستباحة أموالهم. إنّ الطالبان فى أفغانستان قتلوا الكثير من المسلمين «من الشيعة على مفترق طريقين، ص: ٣۵ وأهل السنّة» وهذا ما نراه فى القتل العشوائى فى باكستان والعراق وأغلبهم من المسلمين من قِبل أفراد القاعدة والوهابيين المتعصبين. فما سبب تحوُّل هؤلاء الأفراد إلى مجرمين قساة من الدرجة الاولى؟ إنّ السبب يعود إلى مقولة: إنّ غير الوهابيين مشركون ويستباح دمهم وأموالهم، فلا ينتهى العجب أنّ ضحايا هؤلاء المتعصبين أغلبهم من المسلمين وأنّ جميع الأموال التى نهبوها هى من أموال المسلمين.

العنف يوَّجه ضربة قاصمة للإسلام

لم توجه ضربة للإسلام طيلة التاريخ الإسلامى كالضربة التى وجهها هؤلاء الوهابيون المتعصبون للإسلام، فالإسلام الذى طرح نفسه دين الرأفة والرحمة وأوصى بأن يبتدىء المسلم فى كل عمل بكلمة: بسم اللّه الرحمن الرحيم، حيث تبيّن فى مضمونها الرحمة الإلهية العامة والخاصة. والإسلام الذى يقول: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ...» «١» . سواءً أسلم أو لم يسلم. والإسلام الذى يقول: «... فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» «٢». على مفترق طريقين، ص: ٣۶ والإسلام الذى يقول: «هل الدين إلّاالمحبّة» «١». أجل، فهذا الإسلام بمثل هذه اللطافة والمحبّة والجمال أظهره هؤلاء المتشددون حتى أنّ الصديق والعدو يشعر فى قرارة نفسه بالامتعاض والكراهية لهذا الدين. إنّ جاذبية الإسلام كانت قد بلغت فى عصرنا هذا حدّاً ليدخل الناس فى دين اللّه أفواجاً مصداقاً لقوله تعالى: «... يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً» «٢» ، ولكنّ تصرفات هؤلاء المتعصبين أوصدت الطريق مع الأسف أمام امتداد الإسلام فى المجتمعات البشرية ووجهت ضربة مؤلمة للإسلام والمسلمين. اللّهم اهدهم سواء السبيل.

التضاد العجيب

العجيب أنّ حكومتهم، التى تقوم على أساس مبادىء هـذا المـذهب، تربطها روابط سياسـية واقتصاديـة وثقافيـة حميمـة مع جميع دول العالم «من البلدان الإسـلامية وغير الإسـلامية» بدون الاهتمام بهذه المبادىء، أى أنّهم أصدقاء لجميع المشركين فى العالم!! والأعجب من ذلك أنّهم جعلوا من مكة والمدينة مركزاً ومجمعاً لأجمل الفنادق لاستقبال المشركين من المسلمين الذين يفدون إلى على مفترق طريقين، ص: ۳۷ الحجاز كل عام للحج والعمرة ويستقبلون أهل الشـرك أحسن اسـتقبال، وقد صار هؤلاء المشركون يمثّلون مصدراً مالياً عظيماً لهم. فى حين أنّ القرآن الكريم يوصـى المسـلمين بعـدم فسـح المجال للمشـركين للـدخول إلى المسـجد الحرام: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» «۱». ونتساءل: لماذا يصـبح المشـركون فى هـذا المورد موحـدين ويتمّ اسـتقبالهم بمنتهى اللين والمحبّـة بعنوان أنّهم «ضيوف الرحمن!» ويخلون بيوتهم لهؤلاء الحجاج ويضعونها تحت تصرفهم مع كل ترحيب؟

نعلن بصراحة

إننى بصـفتى أحـد خدمـة العلـوم الإسـلامية اعلـن بصـوت صـارخ وبصـراحة أنّ الإسـلام الـذى تبنـاه ورسم معـالمه هؤلاـء الوهـابيون المتشددون ليس هو الإسلام الواقعى، بل قراءة شخصية من قِبل أفراد لا يتمتعون إلّابحظّ قليل من العلوم الإسلامية وأنّ الأغلبية الساحقة من علماء الإسـلام يخالفون هـذا المـذهب. وسوف نميط اللثام فى الفصل الأخير من هـذا الكتاب عن الأخطاء الفاحشـة لهذا المذهب بشكل مستدل ومن خلال الآيات القرآنية الصـريحة والروايات الإسلامية ليعلم المعتدلون من أتباع هذا المذهب على مفترق طريقين، ص: ۳۸ والذين يتحركون فى ثقافتهم وعقيدتهم من موقع الدليل والمنطق ماهية الصـراط المسـتقيم للإسـلام وأنّه لا يتمثل بتعاليم هذا المـذهب العنيف. وإننى أتقـدم لعلماء الإسـلام بكل احترام وأطلب منهم أن يوحـدوا كلمتهم ويقولوا بصوت واحـد: إنّ هذه الجماعة التى ترى جميع المسـلمين سواها، مشـركين، ولهذا السبب يُفتى باستباحة أموالهم ودمائهم، لا تمثّل الإسلام الصحيح، وبديهى أنّ مثل هـذا المـذهب والمنهـج ليس له مكـان فى العـالم المعاصـر ويعيش فى منزلقـات الافـول ويقترب من آخر الخط، وينبغى علينا تقـديم الإسـلام الـذى هو دين المحبّـة والرأفة، إلى العالم بصورته الحقيقية ليجد طريقه إلى قلوب الناس ويسـتمر فى تقدمه وتسـخيره لقلوب وأفكار البشـرية. والأعجب من الجميع أنّ التشـدد الـذى يتخـذه أفراد هـذه الجماعة ديناً لهم قد طال الحكومة التى أوجدوها بأنفسـهم «حكومـة آل سـعود» حيث قاموا بسلسـلة من الاغتيالات والقتل الفجيع فى المملكة العربية السـعودية إلى درجة أنّ الحكومة السـعودية بـدورها اعترفت بخطر هؤلاـء على المواطنين وتحركـت للحـد من نشـاطهم وشـرعت باعـادة النظر فى علوم المـدارس الدينيـة للوهـابية وعزلت أئمّـة المساجـد المتشـددين، وهـذا بـدوره يمثل دليلًا آخر على اقتراب الوهابيـة المتشـددة من نهاية العمر، حيث لم يبق لديهم مكان مناسب حتى فى مركزهم الأصلى و بقى المعتدلون منهم. على مفترق طريقين، ص: ۳۹

۲- فرض العقيدة

اشارة

إنّ من الاصول والمبادىء المسلَّمة فى الإسـلام أنّ التعامل بين الفرق الإسـلامية يجب أن يقوم على أساس منطقى ومن موقع المحبـة، وحتى بالنسـبة لغير المسـلم فقـد ورد الأمر الإلهى بـذلك أيضاً: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» «۱». وكـذلك يقول تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» «۲». إنّ الإسـلام لا يسـمح اطلاقاً بمخاطبـة المخالفين على أساس أنّهم «المشـركون الجهلـة» و «أعـداء اللّه» و «أعـداء التوحيـد» وأمثال ذلك، كما مرّ فى

كلمات هؤلاء وهكذا يتصور هؤلاء أنّهم يمثلون محور الإسلام ويرجمون الآخرين بحجر الكفر والشرك كما نرى هذا على مفترق طريقين، ص: ۴۰ المعنى بكثرة فى كتابات هذه الفرقة. إنّ المسلمين يشتركون فى اصول دينهم وعقائدهم، ويتفق علماء الإسلام أيضاً فى كثير من اصول مسائلهم الفقهية رغم وجود بعض الاراء المختلفة لديهم فى بعض الفروع وشرح بعض الاصول. ولا- ينبغى أن يؤدّى هذا الاختلاف فى الرؤى والقراءات إلى النزاع والخصام وسفك الدماء، بل ينبغى تقريب وجهات النظر من خلال الاستدلال المنطقى والحوار السليم بين المذاهب الإسلامية. إلّا أنّ الوهابيين المتعصبين «السلفيين» يقفون فى الجهة المتقابلة تماماً لمنطق العقل والعدل الإسلامى، حيث يعتقدون بلزوم فرض عقيدتهم فى مسألة «الشرك والتوحيد» على الآخرين حتى لو كان بأدوات التهديد بالقتل وسفك الدماء ونهب الأموال كما يلاحظ هذا المعنى بوضوح فى كتابات مؤسس هذا المذهب، وقد سبقت الإشارة إليه. عندما نقول لعلمائهم: إذا كنتم من العلماء فنحن أيضاً من العلماء وقد درسنا وكتبنا من الكتب أكثر منكم. وإذا كنتم مجتهدين فنحن بدورنا مجتهدون أيضاً، إنّ الأزهر الشريف والحوزات الدينية فى دمشق والاردن والعراق و ايران و سائر البلاد الإسلامية تحوى الكثير من المجتهدين، فما المسوغ لإجبار الآخرين على اعتناق عقيدتكم وقبول أفكاركم «فى باب الشرك والتوحيد» بغض النظر عن كوننا نقطع ببطلانها؟ يقولون: الحق هو ما رأيناه ونعتقد به والإسلام لا يقول غير ذلك!! على مفترق طريقين، ص: ۴۱ عندما نقول لهم: ما هو امتيازكم على سائر علماء الإسلام بحيث تريدون فرض عقيدتكم عليهم وسوق الآخرين بسياطكم؟ فلا نسمع جواباً منطقياً منهم. إنّ هؤلاء يتصورون أنّهم قد بلغوا ذروة العلم والايمان وبقى الآخرون فى وادى الجهل والضلالة، وهذا المعنى غير مقبول فى عالمنا المعاصر ولا مكان له بين المسلمين. ولهذا السبب قلنا إنّ هذه الفرقة تقترب من نهاية مطافها.

ذِكرى مُرَّة

ولا أنسى أننى عندما تشرفت فى السنوات الاولى بزيارة بيت اللّه الحرام رأيت فى المدينة ظاهرة عجيبة جعلتنى أغرق فى دوامة الفكر. رأيت جماعة تدعى الآمرون بالمعروف، وهم من الوهابيين المتعصبين ومن أصحاب اللحى الطويلة يقفون حول مرقد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وفى يد كل واحد منهم سوطاً وكانوا يضربون به كل من قصد تقبيل الضريح المقدّس ويقولون له: «هذا حديد، وهذا خشب وهذا شرك!». إنّ هؤلاء غفلوا عن الحقيقة، وهى أنّ أى عاقل لا يقبل الحديد والخشب من أجل أنّه حديد وخشب، بل التقبيل يمثل حركة رمزية لإظهار العشق وابراز الحبّ لصاحب هذا القبر، كما أنّ جميع المسلمين والوهابيين أنفسهم يقبلون غلاف القرآن الكريم. فهل أنّ على مفترق طريقين، ص: ۴۲ اظهار العشق والمحبّة للقرآن والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله يعتبر شركاً؟ لا يوجد أى عاقل وصاحب منطق ومنصف يتفق مع هذه العقيدة. إنّ الناس فى مختلف المجتمعات البشرية يقبّلون عَلَم بلدهم ويحترمونه، فهل أنّ قصدهم من ذلك اظهار العلاقة العاطفية لقطعة تافهة من القماش التى ربّما كانت قسماً من قطعة صار هذا القسم عَلَماً للوطن وصار القسم الآخر سروالًا لشخص آخر؟ من البديهى أنّ هدفهم من ذلك اظهار احترامهم واعتزازهم باستقلال بلدهم ويعتبرون ذلك مصداقاً لحبّ اوطانهم «۱». فهل يعدّ احترام الإنسان لوطنه وأرضه من الشرك؟ ومن الملفت للنظر أنّ جميع الوهابيين يحترمون الحجر الأسود ويقبّلونه وعندما نقول لهم: هذا حجر لا يضر ولا ينفع ولا يتعلق مصيرنا به، يقولون: إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقبله «۲» ونحن نستن بسنّته ونتبع طريقته. فنقول: هل أنّ مقصودكم أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد أذن لكم بالشرك وأنّ هذا المورد من الشرك مستثنى من الشرك الحرام، أو أنّ التقبيل لا يدلّ على الشرك؟ هنا يختارون السكوت ولا يجيبون بشىء. على مفترق طريقين، ص: ۴۳ ومضافاً إلى ذلك نقول لهم: ما عرفت آنفاً إنّكم تقبّلون «غلاف القرآن» وترون ذلك مباحاً، فما قيمة قطعة من الجلد والورق السميك ليحظى بتقبيلكم له؟ يقولون: إنّ غرضنا اظهار المحبّة والاحترام للقرآن. نقول لهم: أليس هذا من الشرك؟ يقولون: إنّ صحابة النبى كانوا يقبلون القرآن «۱». فنقول: هل أذن لكم رسول اللّه بالشرك، وحرمة الشرك غير قابله للتخصيص حيث تقول الآية: «إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً

عَظِيماً» «۲». وبـديهى أنّ بطلان الشرك يعد حكماً عقلياً قطعياً، وحكم العقل غير قابل للتخصيص. وهنا أيضاً لا نسمع جواباً منهم. وخلاصة الكلام أنّ هؤلاء قد غرقوا فى دوامة من التناقضات والمتضادات وهم يعلمون بذلك وكأنّهم لا يريدون الاقرار والاذعان.

مسئولية أولياء الحرمين الشريفين

من المعلوم أنّ الأماكن المشرفة وخاصة بيت اللّه الحرام و مسجد على مفترق طريقين، ص: ۴۴ النبى صلى الله عليه و آله تتعلق بجميع المسلمين فى العالم: يقول تعالى: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» «۱». إنّ جميع المسلمين متساوون فى حق الانتفاع ببيت اللّه الحرام «سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ...» «۲» ، وعلى هذا الأساس فإنّ أولياء الكعبة يجب عليهم توفير الأمن والنظم والوسائل اللازمة لزوار بيت اللّه، لا أن يجعلوا من هذا المكان الشريف مركزاً لدعوة الناس إلى مذهبهم وفرض عقيدتهم على الآخرين. لا يحق لهؤلاء تحميل قراءتهم الخاصة المخالفة لاجتهاد علماء الإسلام فى سائر البلاد الإسلامية فى مسائل العقائد، على الآخرين، فحتى فى بدء بزوغ شمس الاسلام لم تكن وظيفة أولياء الكعبة أكثر من ذلك كما يشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ...» «۳». وعليه فلو كانت لدى علماء هذا البلد الإسلامى رؤية خاصة وقراءة معينة فى مسألة التوحيد فلا يحق لهم تحميل هذه الرؤيه على الآخرين. ولا سيما أنّ الآخرين لديهم علماء ومفكرون كثيرون يرون بطلان هذه الرؤية. على مفترق طريقين، ص: ۴۵ وعلى سبيل المثال مسألة طلب الشفاعة من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فهذه الفرقة ترى كفر من يعتقد بهذه المفردة، ولكن الآخرين يرونها عين التوحيد. أو أنّهم يرون أمراً معيناً «بدعة» بينما يراه علماء آخرون «سنّة». إنّ الوهابيين، وأى فرقة اخرى، لا- يحق لهم فرض أفكارهم وعقائدهم الخاصة للدين على الآخرين لان المجتهد حرّ فى آرائه. ونؤكّد هنا أنّ عليهم الاهتمام بالنظم وتحقيق الأمن والرفاه فى هذه الأماكن المقدّسة لا أن يجعلوا منها منابر للدعوة إلى مذهبهم. واللطيف أنّ ملك المملكة العربية السعودية يصف نفسه بأنّه «خادم الحرمين الشريفين» لا- «حاكم الحرمين الشريفين»، إذن فلماذا يرى بعض علماء الوهابية السلفيون أنفسهم «حاكمين على الحرمين الشريفين» رغم أنّهم يعتقدون بوجوب اطاعة ولاة الأمر؟ نعم لا شك فى أنه يجب منع ما أجمع على حرمته علماء الإسلام جميعاً. وخلاصة الكلام أنّ تحميل فكرة معينة أو فرض عقيدة خاصة من قبل جماعة صغيرة وليست بالمستوى المطلوب من الناحية العلمية على أكثرية المسلمين لا يتوافق مع أى منطق سليم، ولكنّ السلفيين المتعصبين يستخدمون أشنع الأساليب فى عملية فرض عقيدتهم على الآخرين، وهذا ما يؤسف له حقاً.

أغلظ صور تحميل العقيدة

لقد كتب الوهابيون المتشددون فى الآونة الأخيرة كتباً فى الردّ على مفترق طريقين، ص: ۴۶ على بعض المذاهب الإسلامية (اتباع اهل البيت) ونشروها بين الحجاج، وليت أنّ هذه الكتب والكراسات كانت مكتوبة باسلوب بعيدة عن الاخلاق الاسلاميّة، حيث نرى أنّها قد كتبت بألفاظ ركيكة وكلمات غير مسؤولة، وتتضمن الكثير من أشكال الكذب والتهمة ورمى الآخرين بالشرك والكفر. هذا ولو أنّ أحداً كتب فى ردّهم جواباً منطقياً وبأسلوب لطيف فمن المحال أن يسمحوا له بنشر نسخة واحدة منه. هل هذا هو المفهوم من الآية الشريفة: «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ...» «۱»؟ من الواضح أنّ مثل هذا المذهب الذى يعيش رؤية ظلامية وثقافة ماضوية ليس له مكان فى العالم المعاصر فسوف يجد مكانه سريعاً فى متحف التاريخ! ولا سيما أنّنا نعيش فى عصر انتشرت فيه ثقافة احترام الرأى الآخر، والعلماء والمفكّرون يتعاملون مع عقائد الآخرين من موقع التقدير والاحترام، وهذا المعنى يمثل أحد أسباب وعوامل انزواء وسقوط هذا المذهب، لأنّ أى مسلم لا يجد فى نفسه استعداداً لقبول هذه التهمة «مشرك» و «كافر» التى يطلقها عليه من يدّعون أنّهم أولياء بيت اللّه و على جميع المسلمين الّا اتباع مذهبهم. إنّ الحرم النبوى وقبور البقيع بدورها تتعلق بجميع المسلمين

على مفـترق طريقين، ص: ۴۷ ووظيفـة أولياء هـذه الأماكن المشـرفة اقرار النظم والأمن وتوفير الإمكانات اللازمـة للزائرين ومنع ما هو حرام بإجماع المسلمين لا ـ أكثر. فالواجب على هؤلاء أن يحترموا عقائد جميع المسلمين ويتجنبوا توجيه الاهانة لمقدساتهم ولا يتطاولوا على الآخرين بما لا يرضى اللَّه تعالى ولا خلق اللَّه وليس له عاقبة محمودة. إنّ حرم الأمن الإلهى يجب أن يكون آمناً من كل ناحية، فهل من الأمن أن يُتهم المسلمون من غير الوهابيين بالشرك بمجرّد أن يتحركوا خطوة على خلاف عقائد الوهابيين؟ ولا أنسى أننى التقيت فى الأسفار السابقة لبيت اللَّه الحرام بمجموعة من المسلمين من بلدان مختلفة حيث أرادوا تقبيل منبر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ولكن منعتهم الشرطة بشدّة من ذلك. وقد تقدم أحدهم وكان حسب الظاهر من هيئة المسلمين بالآمرين بالمعروف وقال هذه العبارة بصراحة: «واللَّه يجوز قتال هؤلاء بالسيف!». فما الفرق بين تقبيل غلاف القرآن والمنبر الذى استخدم سنوات مديدة محلًا للوعظ والارشاد والتعليم من قِبل نبى الإسلام؟ لماذا تصدرون حكم القتل على هؤلاء ولا تصدرون هذا الحكم لأتباعكم. أنتم ترون أنّ هذا العمل «بدعة»، ولكنّهم يرونه «سنّة». الآن نفهم لماذا يسمح الطالبان والقاعدة وهم من الوهابيين المتشددين، لأنفسهم أن يقوموا بعملية التفجير فى النجف «قبل على مفترق طريقين، ص: ۴۸ سنتين» الذى راح ضحيته ۱۵۰ نفر من الناس الأبرياء وحوالى ۳۰۰ مجروح ومن بينهم الأطفال والنساء والشيوخ، كل هذه تمثل ثمرة مرّة ونتيجة أليمة لذلك النمط من التفكير الذى شوه سمعة الإسلام فى العالم وبث الرعب والهلع فى نفوس الناس حتى فى مركزهم الأصلى وهو المملكة العربية السعودية. هل تتمكن هذه الأفكار وهذه الأساليب من البقاء والديمومة أمداً طويلًا؟ لا واللَّه!

الوهابيون المعتدلون المثقفون

أخيراً شاهدنا حركة من قِبل حكومة المملكة السعودية وكذلك من قِبل المفكرين والمثقفين من شعبهم باتجاه الاعتدال واعادة قراءة المفاهيم والأفكار السابقة. هذه الحركة الجديدة تقدمت خطوات إلى الأمام إلى حد أنّها بعثت الأمل فى احلال الحوار والنقاش البنّاء بين المذاهب الإسلامية المختلفة، محل النزاع والخصومة واتهام الآخرين بالشرك والكفر. ورغم أنّ هذه الظاهرة لم تأخذ مسارها الطبيعى لتتحول إلى ظاهرة عامة، إلّاأنّه شوهدت موارد عديدة تدلّ على نجاح هذه الظاهرة الميمونة وتفتح أزهار هذه الشجرة المباركة. هناك أخبار عن إقامة حوارات بين بعض علماء الشيعة فى الحجاز مع بعض علماء الوهابية المعتدلين، وقد تمّ نشر هذا الحوار فى أجهزة الإعلام، وهذا هو ما يراه الوهابيون المتعصبون بدعة وكفراً على مفترق طريقين، ص: ۴۹ ويمتلكهم الغضب والانفعال من نجاح هذه الظاهرة، وكأنّهم يرون الإسلام فى طريقه إلى الزوال والاندثار، والحال أنّ هذه السنّة الحسنة التى يعبّر عنها القرآن الكريم «الجدال بالتى هى أحسن» وأضحت شاملة ومتداولة، فإنّ الإسلام سيتخلص من ايدى هؤلاء القساة وأرباب العنف وستنفتح صفحة جديدة من عظمة الإسلام فى العالم وسيحل المنطق والعقلانية والحوار الاخوى محل التكفير والاتهام وسفك الدماء ونهب الأموال وسيتحرك الإسلام فى المملكة العربية السعودية فى مسيره الأصلى. وهناك جماعة من الكتّاب المعتدلين فى ذلك البلد الإسلامى يساهمون فى ترشيد هذه الظاهرة بأقلامهم وأدبياتهم البنّاءة، وعلى سبيل المثال نرى أخيراً عالماً يدعى، «السيد محمد بن علوى» قد كتب قبل سنين «۱» كتاباً بعنوان «مفاهيم يجب أن تصحح» هذا الكتاب يعد من الكتب الجيدة فى هذا النطاق و سنتطرق إليه فى خاتمة هذا الكتاب «۲». على مفترق طريقين، ص: ۵۱

مشخصات كتاب

نام‌كتاب:على مُفتَرقِ طَريقين نام مؤلف:آية الله العظمى مكارم شيرازى موضوع:آثار اعتقادى زبان:عربى تعداد جلد:۱

۳- التعصب الشديد والمفرط

إنّ «التعصب» يطلق فى عرفنا السائد على «حالة من الالتزام الشديد بالمعتقد» سواءً كان هذا الأمر يتعلق بالمبدأ والمعاد أو بمسألة أخلاقية أو بنوع من الآداب وتقاليد لقوم أو قبيلة، بل يشمل الدفاع عن شخص معين أيضاً. ويستفاد من كلمات أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام فى نهج البلاغة فى الخطبة القاصعة أنّ مفهوم التعصب فى الماضى يقترب من مفهومه فى العصر الحاضر ولكنّ الإمام عليه السلام ذكر معنيين للتعصب، التعصب الممدوح والإيجابى، والتعصب المذموم والسلبى. أمّا بالنسبة إلى التعصب السلبى فمصداقه البارز تعصب ابليس حيث منعه من السجود لآدم، ويرى الإمام على عليه السلام أنّ إبليس إمام المتعصبين ويقول: «فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمتَعَصِّبِينَ، وَ سَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ...» «۱»، وبالنسبة للتعصب الممدوح يقول: «فَإِنْ كانَ لَابُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ على مفترق طريقين، ص: ۵۲ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ...» «۱». إنّ التعصب المذموم يقترن عادة بجمود الفكر وضيق الافق والحكم المسبق وغير المنطقى فى المسائل ويؤدّى بالتالى، لا سيما فى عصرنا الحاضر، إلى التخلف وتكريس الكراهية والخصومة بين الأفراد. ومن معالم هذا النوع من التعصب المواقف الحادة والخشنة للشخص وأحياناً تكون مع سفك الدماء ونهب الأموال وتحقير الغير واستخدام الكلمات الموهنة والجارحة. إنّ هؤلاء المتعصبين لا يقيمون وزناً لأفكار الآخرين ولا يجدون فى أنفسهم رغبة فى استماع أدلة المخالفين ويعيشون مع التكبر والغرور والأنانية المزمنة. وجميع ما تقدم آنفاً من سمات التعصب نجدها فى كلمات «الوهابيين المتشددين» وسلوكياتهم، وفى بعض كتب أئمتهم، مع الأسف، حيث تقدم ذكر بعض النماذج منها والتى يفتون فيها بإباحة دماء المسلمين وأموالهم ويتهمونهم بالشرك جميعاً الّا من تبعهم. إنّ الشخص الذى يخاطب العلماء والمفكرين من الطرف المخالف ب «الجهال» وبقوله «أيّها المشرك» ويعتبر كل من لا يقبل كلامه كافراً مهدور الدم، كيف يكون مستعداً للحوار الهادىء والنقاش المنطقى ويكون مصداقاً لقوله تعالى «وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ»؟ على مفترق طريقين، ص: ۵۳ إنّ القرآن الكريم يرى فى المتعصبين الذين لا يجدون فى أنفسهم رغبة بالاستماع إلى الطرف المقابل أنّهم اناس غير صالحين، حيث تقول الآيات الشريفة: «... فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ» «۱». ومفهوم هذه الآية أنّ الأشخاص الذين يتحركون فى الجهة المخالفة لهذا لمنهج ليسوا من اولى الألباب! وينطلق القرآن الكريم فى توبيخ وذم الأشخاص الذين يضعون أصابعهم فى آذانهم لكى لا يسمعوا كلام الأنبياء ويستعرض لنا شكوى نوح عليه السلام من قومه حيث قال: «وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً» «۲». كان أى نقد علمى لعقائد الوهابية فى السابق ممنوعاً فى أجواء مكة والمدينة وفى جميع أنحاء الحجاز، ولم يكن الوهابيون المتشددون ليسمحوا بطرح ونشر أى نقد علمى حتى لو كان مقترناً بالتقدير والاحترام وكانوا يمنعون دخول أى كتاب حتى من البلاد الإسلامية مثل مصر و من الازهر «ومع الأسف فإنّ هذه الظاهرة موجودة لحد الآن» وإذا شوهدت موارد خلاف هذا الأصل فهى موارد استثنائية ونادرة. وبديهى أنّ هؤلاء، مع استمرار هذا الوضع، لا يمكنهم الخروج من على مفترق طريقين، ص: ۵۴ حالة الجمود والتحجر ولا يمكنهم الإستفادة من أشكال النقد المنطقى الذى يبعث على حركة الفكر. والملاحظة الملفتة للنظر هنا أنّ مكتبات مخالفيهم مثل الشيعة مليئة من كتب هولاء و لا يخافون من مثل هذه الكتب على مذهبهم فى حين أنّه قلّما توجد كتب الشيعة فى مكتبات العربية السعودية «وأحياناً لا يوجد ولا كتاب واحد» كيف الحال بالكتب التى تتعرض بالوهابية، فلماذا يخاف هؤلاء إلى هذه الدرجة من النقد؟! إنّ وجدان القارىء المحترم سيجيب عن هذا السؤال، إنّ مثل هذه الظاهره تنشأ من التعصبات غير المقبولة فى أى زمان فكيف بعصرنا الحاضر، ولهذا ينبغى على حماة هذه التعصبات أن يجمعوا متاعهم ويلتحقوا بمتحف التاريخ. إنّ الشبّان من الوهابيين لهم الحق فى أن يسألوا من أكابرهم هذا السؤال وهو: لماذا لا يوجد لديهم كتب سائر المذاهب الإسلامية وخاصة الكتب التى تنتقد الوهابية نقداً علمياً ومنطقياً؟ ولكن كما سبقت الإشارة إلى أنّ هذه التعقيدات والتعصبات الجافة قلّما تجد طريقها إلى الجماعة المعتدلة والمثقفة من الوهابيين حيث أعلنوا استعدادهم للحوار المنطقى الهادف مع الآخرين، وهذه ظاهرة مباركة. على مفترق طريقين، ص: ۵۵

۴- عدم معرفة القيم والثقافة المعاصرة

اتلاف أثمن الآثار التاريخية للإسلام

من النادر أن يوجد بلد كالحجاز يحوى آثاراً تاريخية ثمينة متعلقة بالقرون الاولى لتاريخ الإسلام، لأنّ هذه المنطقة بالذات تعتبر موطن الإسلام الأول حيث توجد معالم قادة الإسلام وآثار التاريخ الإسلامى فى كل مكان من هذه المنطقة. هذه الآثار من قبيل مراقد وقبور الشخصيات الإسلامية الاولى، وأماكن ولاداتهم وآثار الصحابة والتابعين و محل دراستهم، وآثار أئمّة أهل البيت عليهم السلام وعلماء وفقهاء الإسلام وحتى آثار السلاطين ومراكز حكوماتهم، وكذلك الآثار الفنية والمعمارية وغير ذلك، ولكن المتعصبين من الفرقة الوهابية تحركوا على مستوى إزالة كل هذه الآثار الثمينة بحجة أنّها آثار الشرك، فلم يبق من هذه الآثار الثمينة سوى القليل، وينبغى على المسلمين أن يبكوا دماً على زوال هذه الآثار القيّمة. وفى هذا العصر يعلم الجميع أنّ كل امّة تعتمد لإثبات أصالتها على مفترق طريقين، ص: ۵۶ على تاريخها وعلى الآثار المهمّة الباقية من ماضيها وتعد ذلك شاهداً على أصالتها، ومن هنا اهتمت هذه الامم بحفظ آثارها التاريخية بدقّة. ولكنّ هذه الفرقة القاطنة فى هذه الأراضى المقدّسة لم تبق أثراً من آثار الإسلام التاريخية إلّاوعملت على تخريبها أجمع، تلك الآثار التى لا يمكن تقييمها اطلاقاً من حيث أهميتها وعظمتها. المثال البارز لذلك «مقبرة البقيع»، فهذه المقبرة تعدّ أهم مقبرة فى الإسلام حيث تتضمن قسماً مهماً من تاريخ الإسلام وتعتبر كتاباً ضخماً وناطقاً لتاريخنا نحن المسلمون. وتحوى هذه المقبرة قبور زوجات الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأبنائه وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، والفقهاء والعلماء المسلمين الكبار، الصحابة المكرمين، والشهداء المحترمين، وقادة جيش الإسلام وغير ذلك، ويقال إنّ هذه المقبرة تحوى أكثر من عشرة آلاف صحابى قد دفن فيها، وبكلمة: إنّ قسماً عظيماً من تاريخ الإسلام يقبع فى البقيع. ولكننا عندما ندخل البقيع الآن لا نرى سوى خربة يشمئز منها الناظر ولا يوجد فيها أى مَعْلَم من معالم التاريخ الإسلامى بحيث يعيش الإنسان عندها حالة البكاء والتأسف على الحالة المزرية. إنّ هؤلاء المتعصبين قد عملوا مع كل الأسف على إزالة معالم التاريخ الإسلامى الثمينة بذريعة واهية، وهى «مكافحة الشرك!» وبذلك أصابت العالم الإسلامى خسارة عظمى لا يمكن جبرانها اطلاقاً. على مفترق طريقين، ص: ۵۷ وهكذا نرى أنّ الإنسان المتعصب كيف يغدو مصدراً للخطر وكيف يتلف رأس مال تاريخه وامّته بكل سهولة، هذا الرأسمال الثمين يتعلق بجميع المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل.

وجود قبر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله

إنّ الزائر لمكة والمدينة يعلم جيداً أنّه على رغم تخريب مقبرة البقيع وقبور شهداء احد وغيرها فإنّ الضريح المقدّس والقبة الملكوتية على قبر النبى صلى الله عليه و آله ما زالا قائمين، حيث يزوره المسلمون من جميع أقطار العالم، وهذه الحالة تثير فى أذهان جميع الزائرين سؤالًا مهماً: لماذا لم تتحرك هذه الفئة لهدم قبر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله؟ الواقع أنّ هؤلاء رأوا أنفسهم أحقر من أن يرتكبوا مثل هذه الجريمة ويثيروا جميع العالم الإسلامى ضدهم، أجل، الوهابيون المتعصبون لم يتمكنوا من تخريب مرقد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وقبته الخضراء ولم يستطيعوا التحرش بضريحه المقدّس. عندما يُسألون: كيف عملتم على تخريب جميع المراقد المشرفة والاضرحة على قبور أئمّة البقيع عليهم السلام وشهداء احد ولكن ضريح النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وقبته الخضراء ما زالت باقية؟ وماذا يعنى هذا التناقض الفاضح فى مقام العمل والممارسة؟ إذا كانت هذه المشاهد من معالم الشرك والوثنية، فلماذا أبقيتم هذا «المشهد الكبير» إلى جانب المسجد النبوى العظيم، وإن لم يكن كذلك على مفترق طريقين، ص: ۵۸ فلماذا عملتم على تخريب سائر المراقد المشرفة؟ لا يستطيع هؤلاء الاجابة عن هذا السؤال قطعاً. وفى أحد أسفارى السابقة إلى الحج التقيت مرّة بإمام المدينة وكان رجلًا فاضلًا ومنصفاً وسألته هذا السؤال. فسعى بذكره لقصة تاريخية أن يصرفنى عن هذا السؤال المحرج فتحدث لى عن قصة تتعلق بزمن «ناصر الدولة» حيث جاء يهوديان وحاولا التحرش بالقبر الشريف من خلال ايجاد نفق من البيوت المجاورة يتصل

بالقبر الشريف، فرأى «ناصر الدولة» فى منامه أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يقول له: خلصنى من هذين الرجلين! فلما تكررت هذه الرؤيا لعدّة ليالٍ غرق فى الحيرة وأدرك أنّ حادثة ستقع فى المدينة، فجاء إلى المدينة وجمع أهالى هذه المدينة وتطلع فى وجوههم حتى شاهد الرجلين اللذين شاهدهما فى منامه وأمر باعتقالهما وأنزل فيهما عقاباً شديداً وبذلك تمّ القضاء على المؤامرة. ثم إنّ ناصر الدولة أمر بحفر أطراف القبر الشريف وملأه بالحديد المنصهر وصنع منه جداراً فولادياً حتى لا يتجرأ أحد فى المستقبل أن يرتكب مثل هذا العمل. ومن الواضح أنّ هذا الكلام لا يعدّ جواباً مقنعاً على السؤال المذكور، لأنّ هذا المعنى ربّما يبرر البناء فى الطبقات السفلى من القبر ولكن يبقى السؤال عن القبة والضريح الشريف بدون جواب، ولكنّ مقتضى الأدب فى رعاية مشاعر الطرف الآخر الذى ربّما يقع فى موقف حرج ويشعر بالخجل لفقدانه الجواب المناسب، منعنى من على مفترق طريقين، ص: ٥٩ ادامة البحث والنقاش. وأخيراً سمعنا أنّ أحد الوهابيين المتعصبين قال: سنقوم بتخريب القبة والضريح للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى المستقبل، وبالطبع فإنّ هذا الكلام وإن كان متناسباً مع المبادىء الفكرية لهؤلاء المتعصبين، ولكنّهم لا يمتلكون قطعاً مثل هذه الجرأة أمام أنظار المسلمين فى العالم وخاصة مع ظهور تيار جديد معتدل فى المذهب الوهابى، وبالتالى فسوف لن تقع هذه الحادثة اطلاقاً ولا يتجرأ أحد على ارتكاب هذا العمل. والعجيب أنّ هذا الكلام نسب أيضاً إلى زعيم الفرقة الوهابية «محمد بن عبدالوهاب» ولكنّه كذّب هذه النسبة فى بعض أحاديثه، رغم أنّ «الحسن بن فرحان المالكى» ذكر فى كتابه «داعية وليس نبياً»، كما ستطلع عليه فى خاتمة هذا الكتاب أيضاً، أنّ كلمات الشيخ محمد تشير إلى هذا المعنى وأنّه إذا ملك القدرة فإنّه سيقوم بتخريب القبة والضريح المقدّس للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

٥- الجمود والتصدى لكل ظاهرة جديدة

اشارة

إنّ تحرُّك مؤسس المذهب الوهابى ينطلق للتصدى لكل بدعة، وهذا الأمر من الجهة المبدئية لا تنكره سائر الفرق الإسلامية، لأنّ جميع الفرق والمذاهب ترفض البدع فى الدين بشكل عام «١». ولكنّ هذا الرجل ارتكب خطأً فاحشاً فى تفسير معنى البدعة ولهذا تحرك لمواجهة كل شىء جديد. والآن لنقف على معنى البدعة وما هو المقصود منها؟ هل أنّ كل ظاهرة جديدة وكل ابداع جديد يعدُّ بدعة؟ ولذلك يجب التصدى لجميع مظاهر التمدن البشرى واتخاذ موقف سلبى منها، «كما نجد هذا المعنى فى كلمات الأوائل من أتباع الوهابيه»، ومن هنا فإنّهم ذهبوا إلى أنّ الدراجة الهوائية مركب الشيطان وكانوا يجتنبون رُكوب على مفترق طريقين، ص: ٦٢ الدراجة، وقد هجموا على أسلاك الهاتف فى قصر الملك السعودى الذى يوصله بمركز الجيش وقطعوه ارباً ارباً!! قبل سنوات كانت أجهزة التصوير محرمة فى السعودية ومنعت السلطات من بيعها وشرائها فى أسواق مكة والمدينة، كما شاهدناه فى سفر الحج قبل سنين ولم يأذن ملا عمر الوهابى ورئيس الطالبان أن يلتقطوا له صورة واحدة اطلاقاً وكذلك منع من تعيين النساء والبنات حتى فى المدارس الخاصة بهنّ، ولحدّ الآن نجد أنّ قيادة السيارة محرمة على النساء عندهم حتى مع الحجاب الكامل، أمّا الاحتفال بميلاد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأمثال ذلك فإنّه بدعة وحرام لديهم، ولم يكتفوا بعدم إقامة الاحتفال بذكرى ميلاد النبى الأكرم فحسب صلى الله عليه و آله بل تحركوا لتوبيخ جميع المسلمين من السنّة والشيعة الذين يحتفلون بذكرى المولد النبوى ويرونه أمراً عقلائياً وإنسانياً «١». وبديهى أنّ مفهوم «البدعة» يختلف فى معناه لدى الفقهاء الكبار وعلماء الاصول. «البدعة» لها مفهوم خاص، وهو أن يضع الشخص ما ليس من الدين فى الدين، ويعمل هذا العمل من موقع أنّه أمر شرعى وعمل دينى ولهذا قالوا فى تعريف البدعة: «البِدْعَةُ إِدْخالُ ما لَيسَ مِنَ الدِّينِ فِى الدِّينِ» «٢». على مفترق طريقين، ص: ٦٣ ومعلوم أنّه لا يوجد إنسان يستخدم الاختراعات الجديدة كالدراجة، والهاتف، أجهزة التصوير، الكامبيوتر وأمثالها، على أساس أنّها أمر دينى واجب أو مستحب بل يستخدمها كأمر عرفى مثل سائر أنواع

الأطعمة والملابس وأشكال البناء المتغيّرة بتغير الزمان والثقافة حيث ترتدى حلّة جديدة فى كل عصر. وبعبارة اخرى إنّ بعض الأعمال التى نقوم بها هى «أعمال عرفية» لا ترتبط بالشرع المقدّس من قبيل الأمثلة المذكورة آنفاً: التنوع فى الملبس، المركب، الأطعمة، الآداب والرسوم ووسائل المعيشة والبيت وغير ذلك. إنّ «البدعة» بمعنى التجديد المفيد فى هذه الامور يعدّ عملًا جيداً وعلامة على التقدم الحضارى للمجتمع البشرى، وعلى هذا الأساس لا تكون الدراجة مركب الشيطان ولا جهاز التصوير عين الشيطان، ولا جهاز الهاتف مفسدة للدين، ولا إقامة مراسم الاحتفال لتخليد ذكرى رموز الدين، والتى تعدّ أمراً عرفياً، معصية وإثماً. فهذا يشيد إقامة احتفال بمناسبة ولادة أحد أفراد الاسرة وأحياناً يقام الاحتفال بصورة جماعية لعالم دينى كبير، وأعلى منه إقامة احتفال بمناسبة الميلاد النبوى الشريف وسائر أئمّة الدين. على مفترق طريقين، ص: ۶۴ إننا لا نمتلك أى دليل على حرمة مثل هذه الأعمال سوى سوء فهم من معنى البدعة وعدم التعرف على مفهومها الفقهى وعدم الاحاطة بمعرفة الامور العرفية و تمييزها عن التكاليف الشرعية. ولو تركنا البحث عن القُبب والأضرحة على قبور أولياء الدين حيث يتعلق بموضوع خاص آخر، وبحثنا عن مسألة القبور العادية فى العربية السعودية حيث نرى أبشع المظاهر وأقبح السلوكيات تجاه الموتى، فنرى أمامنا صحراء قاحلة ومليئة بالصخور والأشواك حتى أنّك لا تجد حجراً صافياً على أى قبر من القبور، فى حين أنّ بناء القبر بشكل بسيط يعدّ أمراً عرفياً متداولًا بين جميع الشعوب والأقوام البشرية وقامت عليه سيرة العقلاء فى العالم حيث يهتمون باظهار قبور موتاهم بما يناسب شأنهم واحترامهم، وأحياناً يغرسون الشجر والأزهار والنباتات المختلفة فى المقبرة لتبعث البهجة والانبساط لدى أهل الميت. ونراهم أيضاً يعظّمون قبور الشعراء وكبار العلم والأدب فيهم ويبنون على قبورهم ما يناسب شأنهم كل بحسب حاله. فهذا السلوك، عند العقلاء هو عمل إنسانى وعرفى وليس من البدعة ولا من الشرك وعبادة الأوثان بل أداء فروض الاحترام والأدب الإنسانى، فى حين أنّ البدعة المحرمة هى إضافة شىء لتعاليم الدين ليس منها. فى هذا الزمان نرى الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على وفاة الشاعر الفلانى أو المخترع الفلانى يعدّ أمراً متداولًا فى أجواء على مفترق طريقين، ص: ۶۵ المجتمع البشرى، وهذا العمل يثيرالشوق والرغبة فى نفوس الشبّان تجاه العلم والأدب ويؤدى إلى مزيد من التمدن والتطور الحضارى والعلمى، فهل يقول عاقل إنّ هذا الأمر بدعة أو شرك أو إضافة للدين بما ليس فيه؟ والحال أننا لو قمنا بتكريم أولياء الدين بهذه الصورة وأقمنا لهم هذه المجالس، فإنّ ذلك يتسبب فى اهتمام عامة الناس بتعاليمهم وأفكارهم ويعمل على توثيق وشدّ العلاقة بين الناس وأولياء الدين، فأين هذا العمل من البدعة أو الشرك؟ إنّه أمر عرفى ومقبول لدى العقلاء. والجدير بالذكر وجود بعض المستجدات العرفية أحياناً عند الوهابيين انفسهم إلى جانب الامور الدينية من دون أن تختلط بالمسائل الشرعية أو تكون بدعة محرمة، على سبيل المثال نرى حالياً فى المسجد الحرام ومسجد النبى منارات عظيمة كثيرة لم تكن قطعاً فى زمان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، أو نرى محراب النبى وهو زاخر بالنقوش الجميلة والكثير من أيات القرآن الكريم «ويقول البعض جميع القرآن الكريم منقوشة بخط جميل على جدران المسجد النبوى» وحتى اسم النبى صلى الله عليه و آله وجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام وبعض عظماء الإسلام مرسومة على واجهة أحد جدران المسجد النبوى فى باحته. فى حين أنّ كل هذه الامور لم تكن موجودة فى زمان النبى صلى الله عليه و آله. فهل تعدّ هذه الامور بدعة وحراماً؟ إذا كان كذلك فلماذا سمح على مفترق طريقين، ص: ۶۶ الوهابيون المتسلطون على تلك الأماكن المشرفة ببقائها ولم يتحركوا لازالتها وتخريبها؟ وإن لم يكن كذلك فلماذا يعترضون على موارد مشابهة بحجة أنّها بدعة؟ من الواضح أنّه لا نجد احداً ممن ساهموا فى ابداع هذه الامور قصد أنّ هذا العمل من الدين، بل الغرض مراعاة بعض الامور العرفية التى تنبع من الذوق السليم للإنسان. إنّ الأشخاص الذين يعيشون الجمود الفكرى ويعترضون على هذه الآداب الاجتماعية للمسلمين وغير المسلمين ليس لهم موطىء قدم فى العالم المعاصر ولابد أن يجدوا طريقهم إلى متحف التاريخ، إلّا بأن يتحرك المتعدلون منهم لإصلاح هذا الخلل وجبران هذا الانحراف الكبير. واكرر أنّ البدعة الممنوعة والمحرمة شىء آخر، وهى أن أقوم بعمل معين على أساس أنّه من تعاليم الدين فى حين أنّه لم يرد فى النصوص الدينية العامة والخاصة شىء من ذلك. مثلًا أن نضيف شيئاً على الصلاة أو الصوم أو مناسك الحج وأمثال ذلك، أو نقول إنّ الشرع قد أمرنا أن

نقيم احتفالًا في الليلة الفلانية بمناسبة ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله. ومع الأسف فإنّ جمود هذه الجماعة وقلّة اطّلاعها على علوم الإسلام أدّى إلى اختلاط هذين الأمرين: الابداعات العرفية، والبدع الشرعية و نتج ما نتج.

تضاد آخر

من المتضادات العجيبة لهذه الجماعة أنّ ذلك الشخص الذي كان يرى في الدراجة «مركب الشيطان» ويحسبها بدعة، يركب اليوم سيارات أمريكية ويابانية حديثة من الطراز الأخير، ولا أحد يعترض عليه في هذا الشأن. هؤلاء الذين كانوا يرون في أسلاك الهاتف في قصر الملك السعودي أنّه بدعة، وقد تحركوا لتقطيع هذه الأسلاك، نراهم اليوم جميعاً حتى الباعة المتجولين في الشوارع يمسكون بأيديهم الهاتف «الجوّال»! ألا يدلّ هذا الانعطاف الكبير في ۱۸۰ على أنّ مثل هذه الأفكار في طريقها إلى السقوط والزوال؟ والملفت أنّ حكومتهم تسير في خط التنمية الصناعية من دون الالتفات إلى هذه الأفكار الماضوية وتعمل على تحديث المملكة بشكل كامل.

أسباب فشل ابن تيمية!

إنّ أهل الخبرة يعلمون أنّ إمام المذهب الوهابي، كما يعترف هو، اقتبس أفكاره من «ابن تيمية»، الذي كتب عن الشرك، والتوحيد، والشفاعة، وأمثال ذلك في كتبه، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ لم يتمكن ابن تيمية من اشاعة أفكاره في دمشق «مركز ظهوره ونشاطه» وتم دفع هذا الخطر من بلاد الشام، ولكن تلميذه «محمد بن عبدالوهاب» نجح في ذلك، لماذا؟ على مفترق طريقين، ص: ۶۸ من المناسب أن نشير في البداية إلى لمحة من تاريخ ابن تيمية. ولد «أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحنبلي» عام ۶۶۱ وتوفي ۷۲۸ ه‍ ق، في مدينة «حران» من مدن الشام، ثم تركها في مرحلة الطفولة مع اسرته وتوجه إلى «دمشق» بسبب جور المغول. ولمّا كان ابن تيمية حنبلي المذهب فإنّه تحرك على مستوى الدعوة إلى مذهب الحنابلة وكان يرى كالحنابلة أنّ علم الكلام باطل وأنّ المتكلّمين هم أهل البدع، وفي مسألة صفات اللّٰه كان كالحنابلة يقول: إنّ المؤمن يجب أن يقبل كل ما ذكر في النصوص من ألفاظ الصفات الإلهية بدون تفسير، وبشكل عام كان يرفض المسلك العقلاني في العقائد. فمضافاًإلى دفاعه عن مسلك أهل الحديث في العقائد فإنّه أضاف لها عقائد جديدة لم يسبقه إليها أحد. وعلى سبيل المثال كان يرى أنّ السفر بقصد زيارة قبر النبي الأكرم صلى الله عليه و آله والتبرك والتوسل بأهل البيت عليهم السلام من الشرك، وحتى أنّه أنكر فضائل أهل البيت الموجودة في صحاح أهل السنّة بل حتى في مسند إمامهم «أحمد بن حنبل» وسعى كخلفاء بني امية من تقليل شأن الإمام علي عليه السلام وذريته الطاهرين عليهم السلام. ولم يقبل علماء أهل السنة دعوة ابن تيمية سوى بعض طلابه مثل «ابن القيم» وكتبوا كتباً عديدة في ردّه وردوا بدعه. ومن جملتهم «الذهبي» الذي كان معاصراً له وقد كتب له رسالة في توبيخه وطلب منه الاذعان للأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله. على مفترق طريقين، ص: ۶۹ يقول «الذهبي» مخاطباً ابنَ تيمية: «وقد بلغت السبعين من العمر وحان أجلك لتغادر هذا العالم، ألم يحن الوقت للتوبة والإنابة». وفي مصر أيضاً قام قاضي القضاة للمذاهب الأربعة لأهل السنّة برد آراء ابن تيمية واتهمه باختلاق البدع. ولكن في القرن الثاني عشر ظهر محمد بن عبدالوهاب وتولى الدفاع عن أفكار ابن تيمية وعقائده لا سيما عقائده الجديدة. ومضافاً إلى ما تقدم فإنّ ابن تيمية كان يعتقد بعقائد خاصة اخرى، ففي عام ۶۹۸ ه‍ ق اشترك في سجال اعتقادي مع مخالفه وطرح جملة من عقائده في هذه المناظرة، منها: ۱- أنّه بإمكانه إقامة الحدود الشرعية بنفسه. ۲- حلق شعر الأطفال. ۳- الإعلان عن مناهضة المخالفين لعقائده. ۴- نهي الناس عن العمل بالنذر. ۵- إمكان الرؤية الحسية للّٰه‌تعالى! ۶- بالنسبة للخوارج كان يرى «أنّ الخوارج مع مروقهم من الدين فهم أصدق الناس!»، ومن جملة أعماله الإيجابية أنّه قال ۷۰۲ ه‍ ق بلزوم التصدي للمغول ومناهضتهم. وينقل العلّامة الأميني بعد نقله لكلام ابن تيمية في ردّ حديث الدار عندما نزلت: «وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقرَبينَ ...»، حيث يرى ابن تيمية أنّ

سند هذا الحديث غير صحيح، وقال الأميني: «ولا عجب أن يصدر هذا الكلام منه لشدّة تعصبه وانكاره للضروريات وتكفيره المسلمين على مفترق طريقين، ص: ۷۰ وخاصة انكاره ما يتعلق بفضائل أهل البيت عليهم السلام» «۱». ويضيف في مكان آخر: «لذلك عاد غرضاً لنبال الجرح من فطاحل علماء أهل السنّة منذ ظهرت مخاريقه وإلى هذا اليوم وحسبك قول الشوكاني في البدر الطالع ج ۲، ص ۲۶۰: صرّح محمد البخاري الحنفي المتوفّى ۸۴۱ بتبديعه ثمّ تكفيره ثم صار يصرّح في مجلسه: إنّ من أطلق القول على ابن تيمية: إنّه شيخ الإسلام، فهو بهذا الاطلاق كافر» «۲». ومن المناصرين الاشداء لابن تيمية «ابن كثير» مؤلف كتاب «البداية والنهاية» (المتوفّى ۷۴۴ ه ق) حيث نراه يدافع عن ابن تيمية في شتى الموارد من كتابه ويمدحه في كل مناسبة. ومن العلماء المعاصرين لابن تيمية والذين أيّدوا أفكاره وبذلك صاروا مكروهين من أقوامهم ومجتمعهم، المحدّث المشهور «أبو الحجاج المزي» صاحب كتاب «تهذيب الكمال» (المتوفّى ۷۴۲ ه ق). ومن طلّاب ابن تيمية أيضاً «أحمد بن محمد المرى لبلى» وهو حنبلي المذهب أيضاً، ويقول ابن حجر إنّه كان مخالفاً لابن تيمية في البداية ولكنّه بعد لقائه به صار من أصدقائه وطلّابه وقد كتب مصنفات عديدة في تأييده والدفاع عن أفكاره، وذلك في كتاب «ردّ مسألة السفر للزيارة»، وأخيراً أمر القاضي المالكي «اخنايي» باحضاره وحكم عليه بالجلد إلى أن أدمى بدنه ثم أركبه بغلة على مفترق طريقين، ص: ۷۱ مستديراً إلى الوراء وطاف به أسواق المدينة للإمعان في تحقيره. ولا شك أنّ أكثر مدافع وناصر لابن تيمية هو تلميذه «ابن القيم الجوزية» حيث كان يؤيد جميع أقواله وعقائده وتبعه في جميع أفكاره وقد سعى لنشر عقائد ابن تيمية في زمان حياته وبعد موته وقد سجن بسبب ذلك عدّة مرات وضرب بالسياط وأركبوه على جمل وطافوا به المدينة ثم سجنوه مع ابن تيمية في قلعة «دمشق» «۱». نعود الآن إلى أصل الموضوع، وهو: لماذا لم يوفّق ابن تيمية لنشر مذهبه السلفي في الشام، ولكنّ «محمد بن عبدالوهاب» نجح في ذلك في منطقة «نجد» ثم وسع دائرته لتشمل جميع مناطق الجزيرة العربية حتى أنّ هذه العقائد سمّيت في التاريخ باسمه «مذهب الوهابية»؟ إنّ السبب في ذلك أمران: الأول: إنّ الشام كانت تعدّ مركزاً من مراكز العلوم الإسلامية في ذلك العصر وكانت تستضيف علماء كبار وحوزات علمية كثيرة حيث سعى هؤلاء للتصدي لأفكار ابن تيمية وكشف اللثام عن انحرافاته وأخطائه، ورغم أنّه وجد بعض الأنصار هناك، إلّاأنّه فشل في مدّ نفوذه في تلك المنطقة من خلال مقارعته بالأدلة المنطقية، في حين أنّ منطقة «نجد» كانت في ذلك الزمان فقيرة جدّاً من هذه الجهة، فلم على مفترق طريقين، ص: ۷۲ تواجه شبهات زعيم هذه الفرقة مقاومة قوية، ولذلك امتدت بين العوام كالنار في الهشيم. وفي طيلة التاريخ نرى أنّ كل منطقة عاشت تحت مظلة العلماء الواعين فإنّها صارت مصونة من آفات الانحراف والزيف. والآخر: أنّ قبائل «نجد» في ذلك الزمان كانت تعيش صراعات عنيفة على السلطة، وقد استفاد محمد بن عبدالوهاب، وفقاً للتواريخ الموجودة، من هذه الحالة وعقد معاهدة مع آل سعود على تبني أفكاره من جهتهم وعليه أن يضع أتباعه تحت اختيارهم في عمليات الفتح والاستيلاء على المناطق الاخرى، في حين أنّ دمشق والشامات لم تكن تعيش هذه الظروف، ولا أنّ ابن تيمية كان يفكر بهذه الامور.

۶- ضعف المنطق والاستنباط الخاطىء لستة مفردات قرآنية

اشارة

إنّ هذا المذهب يدور على استنباط خاطيٍ في مسألة التوحيد والشرك. يقول «محمد بن عبدالوهاب» في رسالة «كشف الشبهات» في هذا المجال ما خلاصته: ۱- إنّ التوحيد الذي دعا إليه الإسلام هو توحيد العبادة، لأنّ العرب المشركين كانوا يعتقدون بتوحيد الخالق ويعترفون بوجود اللَّه الذي خلق جميع الكائنات: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» «۱». ويقول: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» «۲». على مفترق طريقين، ص: ۷۴ ونظراً إلى أنّ هذه الآيات الكريمة تقرر أنّ عرب المشركين كانوا

يعترفون أنّ خالق العالم ورازق العباد ومدير الكون هو اللَّه تعالى، إذن فيما كان شركهم؟ إنّ انحرافهم عن خط التوحيد يتمثل فى التوحيد فى العبادة، أى أنّهم كانوا يعبدون الأصنام وبعض الصالحين، وبعبارة اخرى أنّ العرب المشركين لم ينكروا توحيد الخالق والرازق ولم يشركوا فى ربوبية ربّ العالمين، بل أشركوا فى عبادة اللَّه، فقد دعاهم الإسلام إلى حصر العبادة باللَّه تعالى. ۲- إنّ مفهوم «الشرك» يعنى أنّ الإنسان يسأل غير اللَّه تعالى ويطلب منه حلّ مشكلاته ويلتجأ إليه (كأن يقول يارسول اللَّه ويا على) والقرآن الكريم يقول: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» «۱». ۳- إذا طلب الإنسان الشفاعة من نبى الإسلام أو أحد أولياء الدين أو الصالحين فقد أشرك باللَّه تعالى، وماله ودمه مباح للموحدين، لأنّه مشرك وكل مشرك مهدور الدم ومستباح المال والنساء! والقرآن الكريم يقول: «قُلْ للَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» «۲». ۴- مضافاً إلى ذلك فإنّ العرب المشركين عندما واجهوا الاعتراض على عبادتهم للأوثان قالوا: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ...» «۳». على مفترق طريقين، ص: ۷۵ وعلى هذا الأساس فإنّ عبادتهم للأصنام لم تكن بسبب خالقيتهم ورازقيتهم، بل لطلب شفاعة منهم عند اللَّه، إذن فكل شخص يطلب الشفاعة من غير اللَّه فحاله حال العرب المشركين ويستباح ماله ودمه. هذه عصارة كلامه فى مسألة التوحيد والشرك.

نقد ودراسة

اشارة

الواقع إنّ عمدة ما يستند إليه «الوهابيون» فى كتبهم المختلفة فى بحث التوحيد والشرك هى الآيات المتقدمة آنفاً حيث نجدها فى جميع كتاباتهم، فى حين أنّهم يمرون على غيرها من الآيات الكريمة القرآنية مرور عشواء، ويتغافلون عن مدلولها، فهم يتحركون فى فهمهم للقرآن من موقع الانتقاء بشكل كامل. وضمناً، ولغرض اجهاض محاولات علماء الإسلام الذين يستندون بآيات قرآنية اخرى لكشف زيف هذه الفرقة وبطلان مدعياتها، قالوا: إنّ جميع الآيات الاخرى المخالفة للآيات السابقة والتى يستدل بها العلماء المسلمون فى مسألة «التوحيد والشرك» من الآيات المتشابهة «۱». بينما الآيات التى يستدل بها الوهابيون لصالح مدعياتهم من محكمات القرآن!! على مفترق طريقين، ص: ۷۶ وعند إلقاء نظرة دقيقة فى مطاوى هذا الموضوع يتجلّى لنا الاستنباط الخاطىء لأنصار الوهابية من ناحية سواء الفهم لِ «ست مفردات قرآنية» وبالتالى حكموا على جميع المسلمين سواهم بالشرك والكفر واتهموهم بالمروق من الدين. ومع الأسف فإنّ العالم الإسلامى دفع ثمناً غالياً بسبب هذا الفهم الخاطىء لهذه المفردات القرآنية الست، وما أكثر الدماء المقدّسة التى سفكت فى بلاد الإسلام، وما أكثر الأموال والثروات التى نهبت؟ واستمر الحال بالمسلمين إلى هذا اليوم حيث نرى نماذج من هذه الحوادث المؤسفة فى مناطق متعددة من العالم الإسلامى كما رأينا فى حكومة الطالبان فى أفغانستان وفى تفجيرات جيش الصحابة فى مساجد الشيعة فى باكستان أو حوادث القتل والانفجارات المروعة فى العراق فى صفوف الشيعة وأهل السنّة، فى كل يوم وحتى فى العربية السعودية فى مدينة «الرياض» و «الخبر» و غيرهما! لماذا لا يقبل هؤلاء بالجلوس على مائدة الحوار المشترك مع علماء الإسلام من الأزهر، والشام، وقم، والنجف، ويبحثون معهم هذه المسائل بحثاً منطقياً، لتتضح الحقيقة للناس. لماذا نرى أنّ بحوثهم تعتمد أُسلوباً تهاجمياً وتبدأ اجابتهم بجملة «أيّها المشرك الجاهل»، وهم ينطلقون فى تعاملهم مع الطرف الآخر بأنّه مهدور الدم ومشرك وجاهل ثم بعد ذلك يدخلون معه فى جدال ونقاش؟! لماذا نرى هؤلاء غير مستعدين لإجراء مباحثات أخوية مع سائر المسلمين وتماهياً مع قول القرآن الكريم: «... فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ على مفترق طريقين، ص: ۷۷ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ...» «۱». فلو أنّهم تحركوا فى تعاملهم مع الآخرين من هذا الموقع فسوف لم تصل الحالة إلى ما وصلت إليه من سفك دماء المسلمين ونهب ثرواتهم وتسلط الأعداء عليهم، ولم تجد حفنة من الصهاينة مجالًا للتلاعب بمصير المسلمين. فما الجواب الذى سيجيبون اللَّه تعالى به غداً يوم القيامة عند الميزان والحساب؟! على أيّة حال فهذه المفردات المحورية الست عبارة عن: ۱- الشرك والمشرك (فى القرآن الكريم). ۲- الإله فى

لا إله إلّااللّه (فى القرآن الكريم). ٣- العبادة «فى القرآن الكريم». ۴- الشفاعة «فى القرآن الكريم». ۵- الدعاء «فى القرآن الكريم». ۶- البدعة «فى القرآن الكريم والسنّة الشريفة».

أ) مفهوم «الشرك» فى القرآن

إنّ أول كلمة وقع الوهابيون فى قراءة خاطئة لها وبالتالى أفتوا بإباحة دماء الكثير من المسلمين وأموالهم وأعراضهم، هى كلمة «الشرك» و «المشرك». على مفترق طريقين، ص: ٧٨ «الشرك»: فى اللغة بمعنى الشركة فى شيء. «الشريك» هو المتساوى فى نمط واحد. وجاء فى لسان العرب فى معنى الاشراك: «أشرك باللّه: جعل له شريكاً فى ملكه» وقال فى معنى الشرك: «والشرك أن يجعل للّه شريكاً فى ربوبيته». وعلى هذا الأساس فإنّ الشرك يعنى أن يجعل للّه شريكاً فى الحاكمية والربوبية. يقول الراغب الاصفهانى فى «مفرداته»: «وشرك الإنسان فى الدين ضربان: أحدهما، الشرك العظيم، وهو اثبات شريک للّه‌تعالى، يقال أشرك فلان باللّه، وذلک أعظم كفر ويؤدّى إلى الحرمان من الجنّة، قال تعالى «مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» «١». والثانى: الشرک الصغير، وهو مراعاة غير اللّه معه فى بعض الامور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» «٢». وعلى هذا الأساس فحقيقة الشرک العظيم هو ما تقدم من إثبات شريک للّه‌تعالى فى الخالقية والمالكية والربوبية والعبادة. ولكن إذا قلنا إنّ المسيح كان يشافى المرضى بإذن اللّه أو يحيى الموتى بإذن اللّه و كان يخبر عن الغيب وبواسطة العلم الذى اكتسبه من اللّه تعالى أو يكشف عن بعض الأسرار الخفية، باذن اللّه فلا يعتبر ذلک من الشرک ولا يكون هذا الكلام مجانباً للصواب. على مفترق طريقين، ص: ٧٩ ألم يحدثنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة على لسان المسيح ويقول: «وَأُبْرِءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «١». وعليه فلو طلبنا من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو بعض عباد اللّه الصالحين من أولياء الدين كأئمة أهل البيت عليهم السلام مثل هذه الامور وبهذه الصورة «أى بإذن اللّه» فلا يعدّ هذا من الشرک، بل هو عين التوحيد، لأننا لم نجعل هؤلاء الأولياء فى مستوىً واحد وفى عرض واحد مع اللّه تعالى، فى التأثير بل نعتقد بأنّهم عباده المخلصون فى طاعته. والعجيب كيف أنّ علماء الوهابية فهموا من هذه المفردة «الشرک» الواضحة فى معناها مثل هذا الاستنباط الخاطيء وادّعوا أنّ كل طلب من عباد اللّه الصالحين الذين لا- يفعلون أمراً إلّاباإذنه، من الشرک، فهذا المعنى مخالف لصريح القرآن. ولنفرض أنّ شخصاً يمتلک غلاماً مطيعاً لأوامر سيّده ولا يتصرف بشيء إلّابإذنه، فلو أنّ شخصاً طلب منه أن يسأل سيّده ويطلب منه عملًا معيناً فهل أنّه بمسألته هذه قد جعل الغلام شريكاً فى عرض واحد لمولاه، أو أنّ ذلک يقع فى مسير الخدمة للمولى و الطلب منه؟ هل يعتقد عاقل منصف بأنّ هذا العمل يعتبر من الشرک؟ إنّ جميع هذه الأخطاء فى الفهم الدينى من النصوص ناتجة عن انتقائهم للآيات القرآنية وعدم رؤيتهم الشمولية لجميع الآيات فى على مفترق طريقين، ص: ٨٠ عرض واحد واستنباط المدلول الصحيح لها، وإنّما حكّموا مسبوقاتهم الفكرية وحملوا بعض الآيات الشريفة لتنسجم مع هذه الرؤية الخاطئة وتركوا الباقى و رفضوها رفضاً تامّاً.

ب) مفهوم «الإله»

لقد تصوّر شيخ الإسلام الوهابى أنّ كلمة «إله» تأتى بمعنى «المعبود» فقط، وعليه فإنّ جملة «لا إله إلّااللّه» التى تعتبر شعار نبى‌الإسلام صلى الله عليه و آله وجميع المسلمين فى العالم، ناظرة لمسألة «التوحيد فى العبادة» فقط، أى أنّه لا معبود إلّااللّه تعالى، وعليه فإنّ هذه الجملة غير ناظرة إلى نفى الشرک فى الخالقية والرازقية والربوبية وأمثالها، لأنّ المشركين فى الجاهلية كانوا يقرّون بالتوحيد فى الخالقية والرازقية والربوبية، وانحرافهم الوحيد كان عدم التوحيد فى العبادة لأنّهم كانوا يعبدون غير اللّه تعالى.

توضيح ذلك

إنّ المشـركين في الجاهلية، وخلافاً لتصوّر الوهـابيين، لم يتورطوا فقط في وادي الشـرك في العبادة، وبتعبير آخر، إن كلمـة «إله» لم تسـتعمل دائماً بمعنى «المعبود»، بل جاءت أحياناً بمعنى «الخالق»، يقول القرآن الكريم: «أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ* لَوْ كَانَ على مفترق طريقين، ص: ٨١ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّااللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» «١». فنرى في هذه الآيات الشـريفة بوضوح أنّ «آلهـة» جمع «إله» جاءت بمعنى «الخالق» لأنّ الحـديث في الآيـة الشـريفة يدور حول «التوحيد في الخالقية» لا «التوحيد في العبادة». ونقرأ في آيـة اخرى هـذا المعنى بوضوح أكثر حيث تقول: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» «٢». هـذه الآيات الكريمة تنفي وجود خـالق آخر غير اللَّه تعالى «وجاء بلفظ إله» و تقول لو كان هناك إله آخر غيره لانهـدم نظم العالم وفسـد انسجام الكون. فهـذه الآية تبيّن عقيدة العرب المشـركين في مسألة تعدد الخالق وتقول: «فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ». وعلى هذا الأساس فإنّ حصـر دعوة الإسلام للتوحيـد في العبـادة وعـدم الالتفات إلى الأقسام الاخرى من التوحيـد، يمثّل خطأً كبيراً في فهم الآيات القرآنيـة التي تقرر هـذا المعنى بصـراحة بالغـة. إنّ جميع الشواهـد تشـير إلى أنّ الوهـابيين أهملوا كثيراً من الآيـات القرآنيـة المخالفـة لاسـتنباطهم من مسألـة التوحيد والشـرك وغفلوا أو على مفترق طريقين، ص: ٨٢ تغـافلوا عنها تماماً، والحال أنّ الكثير منهم من حفظـة القرآن الكريم حسب الظاهر، ولكن مع الأسـف يسـتندون دائمـاً إلى بعض الآيـات الموافقـة لآرائهم الباطلـة، لأنّ حفظ القرآن لا يعني بالضـرورة فهم معنى القرآن! ويسـتفاد أيضـاً من آيات اخرى أنّ بعض المشـركين كانوا يعتقـدون في نظرتهم للأوثان غير مسألـة العبادة والخالقيـة، حيث يعتقـدون بربوبية الأصـنام، أي تأثيرها في مصـير الإنسان، بمعنى تأثيرها على مصـيرهم، وكانوا يتصورون بشـكل خرافي أنّ الأصنام تغضب على أعـدائها ومخالفيهـا وتعمـل على تـدميرهم والإضـرار بهم وفي نفس الوقت يـد العون إلى عابـديها وتعمل على اسعادهم، وعلى سبيل المثـال يحـدثنا القرآن الكريم عن المشـركين من قوم هود حيث كانوا يقولون: «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» «١». وهكذا نرى أنّ المشـركين كانوا ينسبون الغضب لآلهتهم وأنّها قد تلحق الضـرر بالناس أو تنفعهـم وتزيـد من بركتهم، وهـذا يعني أنّ المشـركين كـانوا يتصـورون أنّ الأصـنام تتـدخل في تعيين مصـيرهم وهـو نـوع من القـول بربوبيتها، وهناك شـعر معروف قاله الشاعر الجاهلي في ذم طائفة «بني حنيفة» حيث صـنعوا لهم صنماً من التمر! ولكنّهم أكلوه في عام القحط! ويقول: أكلت حنيفـة ربّها عام التقحم والمجاعـة لم يحـذروا من ربّهم سوء العواقب والتباعة «٢» على مفـترق طريقين، ص: ٨٣ إنّ كلمـة «ربّ» اطلقت في هـذا البيت على الصـنم، وقد حذّر الشاعر هؤلاء الآكلين سوء العاقبة ونتائج غضب الآلهة هذه. ويقول شاعر آخر في هـذا الصـدد: «أربّ يبول الثعلبـان برأسه ... آلا ذلّ من بالت عليه الثعالب». وهكـذا نرى في تاريـخ عبادة الأوثان اطلاق كلمة «ربّ» و «أرباب» على الأصـنام ممّا يعكس اعتقادهم بأنّ تـدبير امور العالم بيد هذه الأصـنام!! ومن هنا يحدثنا القرآن عن قول يوسـف عنـدما دعا رفيقيه في السـجن إلى التوحيـد: «يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» «١» . انظر الى كلمـة ارباب هنـا. والشاهـد الآخر أنّ رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله كـان يـدعو المشـركين من أهـل الكتـاب إلى التوحيـد فيما يصـرّح به القرآن الكريم: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» «٢». وكمـا ترى فإنّ عبارة «أرباب» تشـير بوضوح إلى أنّ هؤلاء المخاطبين من أهل الكتاب قـد تورطوا في شـرك الربوبيـة. ونقرأ في آيـة اخرى من هـذه السورة نفسـها: «وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» «٣». على مفـترق طريقين، ص: ٨۴ ولا نبتعـد كثيراً عن الموضوع فالقرآن الكريم يصـرّح بهـذه الحقيقة بالنسبة لعبدة الأوثان ويقول: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ» «١». وهذا يعني أنّهم مصابون بالشرك في الربوبية باعتقادهم تأثير الأوثان في مصـيرهم وأنّها تملك قـدرة خارقة للعادة. ونقرأ في قصة إبراهيم عليه السـلام عندما تماهى مع عبدة الأوثان فقال في

بداية الأمر مشيراً إلى النجم والقمر والشمس بقوله «هذا رَبّی» «۲» .ليثبت بطلان عقيدتهم بها فی نهاية المطاف. إنّ اهتمام إبراهيم عليه السلام بمقولة الربوبية تعكس بوضوح أنّ المشركين فی «بابل» كانوا يتصورون أنّ القمر والشمس والنجوم مؤثرة فی مسيرة حياتهم، وكذلك الحال فی كلام إبراهيم أمام نمرود و قوله «رَبِّی الَّذِی يُحْيِی وَيُمِيتُ». النتيجة: إنّ كلمة «إله» لا تعنی فقط «المعبود»، بل تأتی أحياناً «الخالق» وأحياناً اخری «الرب»، وإنّ المشركين لم يقتصروا فی شركهم علی عنصر «العبادة» بل كانوا مشركين فی مسألة «الخالقية» و «الربوبية» و ايضاً. وعلی هذا الأساس فعندما يحدثنا القرآن الكريم عن اعتراف المشركين بوجود اللَّه ويقول بإنّه لو سألتهم عمن خلق السموات علی مفترق طريقين، ص: ۸۵ والأرض ليقولن اللَّه، فمقصوده مدبّر السموات والأرض، لعدم وجود التناقض بين الآيات القرآنية. وبعد هذا هل يجوز لزعماء الوهابية بمقتضی قراءتهم الواهية لهذه الآيات القرآنية وخاصة لمفهوم كلمة «إله»، أن يفتوا بإباحة دماءالمسلمين وأموالهم؟ والحقيقة: ما أتفه قيمة المسلمين ودماؤهم وأموالهم لدی هذه الجماعة!!

ج) مفهوم «العبادة»

إنّ كلمة «العبادة» هی ثالث مفردة قرآنية أساء الوهابيون فهمها وقالوا بصراحة: إذا توجه المسلم إلی الصالحين يطلب منهم الشفاعة عند اللَّه فهو مصداق الآيات الشريفة التی تقول: «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَی اللَّهِ زُلْفَی إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِی مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» «۱». ولكن هؤلاء لم يلتفتوا إلی هذه الحقيقة القرآنية، وهی أنّ المشركين لم يكن خطأهم فی طلب الشفاعة من الصالحين بل لكونهم يعبدون هذه الأوثان طلباً للشفاعة، ويسجدون لها من أجل ذلك (كما يتبيّن هذا المعنی من مفهوم الآية الشريفة أعلاه وجملة «ما نعبدهم» فالمشكلة هی العبادة لا طلب الشفاعة فتأملوا). علی مفترق طريقين، ص: ۸۶ عندما نزور رسول اللَّه صلی الله عليه و آله ونقول: يارسول اللَّه اشفع لنا فی الدنيا والآخرة، فهل يعنی هذا عبادتنا له؟ وهل نلقی بأنفسنا علی الأرض ونسجد لرسول اللَّه؟ ما هی علاقة طلب الشفاعة بالعبادة؟ إنّ كل شخص من العرف أو أهل اللغة يعلم بأنّه لو حضر شخص عند المسيح وأحضر معه طفله الأعمی وقال للمسيح: أنت تدعی أنّك تشفی الأكمه والأبرص بإذن اللَّه «وَأُبْرِءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ»، لذلك فإنی أسألك أن تشافی ولدی بإذن اللَّه، فأين هذا من واقع العبادة للَّه؟! إنّ القرآن الكريم نفسه قد أذن بمثل هذه السلوكيات والممارسات. إنّ «العبادة» تعنی فی اللغة والعرف أن يبلغ الشخص نهاية الخضوع للطرف المقابل من قبيل الركوع والسجود له، وأمّا طلب الحاجة من الآخر فلا يرتبط بهذا الموضوع اطلاقاً، يقول الراغب فی مفرداته: «العُبُودِيَّةُ إظهارُ التَذَلُّلِ وَالعِبادَةُ أَبْلَغُ مِنْها لأَنَّها غايَةُ التَذَلُّلِ» «۱». وجاء فی لسان العرب مادة «عبد»: «أَصْلُ العُبُودِيَّةِ الخُضُوعُ وَالتَذَلُّلُ». والملفت للنظر أنّ زعماء المذهب الوهابی يؤكدون علی عبارة «لِيُقَرِّبُونا إلی اللَّهِ زُلفی ، ولكنّهم يغضون الطرف عن جملة «ما علی مفترق طريقين، ص: ۸۷ نَعْبُدُهُم إلَّا ...»، إذن فالإشكال فی عمل المشركين يكمن فی عبادتهم غير اللَّه لا فی «طلب الشفاعة للتقرب إلی اللَّه»، حتی إذا كان طلب الشفاعة هذا بإذن اللَّه «فتدبر». أجل، فعندما يبحث الإنسان فی مسألة معينة بالاستناد إلی مسبوقاته الخاطئة فسوف يری ما يوافق مقصوده جيداً ولا يری أبداً ما يخالف رأيه، وأحياناً يتعامل معه من موقع التساهل والاهمال، ثم يفتی بقتل ملايين الأبرياء من المسلمين علی أساس أنّهم مشركون ويستبيح دماءهم وأموالهم وأعراضهم!! وسيأتی تفصيل الكلام عن حقيقة الشفاعة والدعاء لاحقاً «إن شاء اللَّه».

د) مفهوم «الشفاعة»

اشارة

ورابع مفردة قرآنية فسّرها أفراد هذه الطائفة تفسيراً خاطئاً هى كلمة «الشفاعة»، وكما تقدم أنّ هؤلاء أصدروا حكماً بكفر جميع من يطلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه و آله أو أئمّة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من الصالحين، واتّهموهم بالشرك كما تقدم كلامهم فى ذلك. إنّ هؤلاء تحركوا فى هذا الخط بشدّة وأفرطوا فى اتهام المسلمين بالشرك كما رأينا فيما كتبه زعيمهم فى كتاب «كشف الشبهات» حيث قرر اتهامه المسلمين بالشرك بدليلين وصرّح أنّهم أشدّ وأشنع من المشركين فى زمان الجاهلية، رغم أنّ المشركين فى الجاهلية لم على مفترق طريقين، ص: ٨٨ يكونوا يعتقدون بالمعاد ولا يصلّون ولا يؤدون فريضة من فرائض الإسلام. ومضافاً إلى ذلك كانوا يتهمون نبى الإسلام صلى الله عليه و آله بإنّه ساحر وأنّ القرآن كتاب سحر وحاولوا قتل النبى، ومع ذلك يقول إمام الوهابية إنّ هؤلاء المشركين أفضل من المشركين فى عصرنا «وهم يعتقدون بكل ما جاء فى الرسالة السماوية ويتعبدون بجميع تعاليم الإسلام وآدابه ولا ـ ذنب لهم سوى طلبهم الشفاعة من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ويصرّح بأنّ شرك اولئك المشركين فى زمن الجاهلية» أيسر وأخف من شرك هؤلاء! لماذا؟ لأنّ اولئك المشركين كانوا يعبدون الأوثان فى حال الرخاء والدعة، ولكنّهم يتركون عبادتها فى حال الشدّة ويتوجهون إلى اللّه تعالى ويدعونه مخلصين كما فى حال الابتلاء بخطر الغرق فى البحر. ما أشدّ عدم الانصاف لدى من يقول إنّ الأفراد المتدينين والملتزمين بجميع تعاليم الإسلام وأحكامه والذين يجتنبون جميع الذنوب وأشكال المعصية ويدفعون زكاتهم وواجباتهم المالية بشكل كامل ثم يأتون من مكان بعيد لزيارة بيت اللّه الحرام مع كونهم من حفظة القرآن وعلماء فى المعارف الإسلامية إلّاأنّهم أسوأ من المشركين القتلة وسفاكى الدماء وشاربى الخمر والملوثين بأنواع الذنوب والمعاصى والذين لا يقبلون بشىء من الرسالة السماوية، لسبب بسيط وهو أنّ الطائفة الاولى تطلب الشفاعة من رسول اللّه صلى الله عليه و آله أو من غيره من الأولياء، فهم مشركون وتباح دماؤهم وأموالهم!! ألا يعدّ مثل هذا الكلام بعيداً عن المنطق فى أجواء عالمنا على مفترق طريقين، ص: ٨٩ المعاصر؟ وعليه ألا نقبل أنّ عمر هذا المذهب وهذه الأفكار الماضوية فى طريقها إلى الزوال وأنّ محلها الطبيعى هو متحف التاريخ؟ والآن لنأخذ أصل مسألة «الشفاعة» لنرى المشكلة التى تقترن بهذه المسألة فى دائرة التوحيد بحيث أدت إلى خلق هذا التنافر واتهام الكثير من المسلمين بالكفر والشرك وأنتجت كل هذه المأساة. هل أنّ شيخ الإسلام اكتشف حقيقة جديدة فى هذه المسألة بقيت خافية على علماء الإسلام طيلة التاريخ الإسلامى؟ الحقيقة أنّ أصل مسألة الشفاعة ورد ضمن آيات كثيرة فى القرآن المجيد ويعد من مسلمات الفكر الإسلامى باجماع علماء الإسلام وحتى أنّ الوهابيين لا ينكرون أصل الشفاعة بل يعترفون بها بصراحة. الحقيقة الاخرى التى تعد من المسلمات أيضاً هى عدم إمكان شفاعة الشفعاء بدون إذن اللّه تعالى، لأنّه ورد هذا الموضوع بصراحة فى أكثر من خمس آيات قرآنية، منها ما ورد فى آية الكرسى حيث تقول: «مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...» «١». ويقرر مبدأ التوحيد الأفعالى أنّ كل شىء فى العالم لا يتحقق إلّا بإذن اللّه ولا شرك باللّه تعالى من هذه الجهة، فلو كانت هناك شفاعة فهى بإذن اللّه وأمره، وبما أنّ اللّه تعالى حكيم على الاطلاق، فإنّ إذنه على مفترق طريقين، ص: ٩٠ للشفاعة يقوم على أساس الحكمة فلا يأذن بشفاعة الأشخاص الذين يفتقدون لياقة الشفاعة من حيث تلوثهم بالمعاصى وسلوكهم فى خط الانحراف بحيث دمروا جميع الجسور خلفهم «فتدبر». إلى هنا لا ـ خلاف فى هذه المسألة، إذن فأين يكمن الاختلاف؟ إنّ الاختلاف فيما بيننا وبينهم أنّ علماء الإسلام غير «الوهابيين» يرون أنّ طلب المسلم من النبى شيئاً بمقتضى المقام الكريم الذى منحه اللّه تعالى له «أى مقام الشفاعة» لا يعدُّ عملًا مجانباً للصواب وليس فقط لا يتنافى مع التوحيد، بل يدعم ويكرس التوحيد أيضاً، ولكنّ الوهابيين يقولون إنّك لو طلبت الشفاعة من رسول اللّه فأنت كافر ومشرك ومباح الدم والمال، فهل أنّ الشفاعة باطلة؟ كلّا، حيث يتفق جميع علماء الإسلام على صحتها وجوازها. وهل أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليس له مقام الشفاعة؟ الجميع يجيبون بالايجاب. إذن فأين تكمن المشكلة؟ يقولون إنّ النبى يتمتع بمقام الشفاعة ولكن لا ـ ينبغى أن تطلب الشفاعة منه وإلّا ستكون كافراً، لأنّ القرآن يقرر هذه الحقيقة، وهى أنّ الجاهليين كانوا يبررون عبادتهم للأصنام لتشفع لهم عند اللّه، فعملكم سيكون مثل عمل اولئك المشركين. نقول: إنّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام ونحن لا نعبد اطلاقاً النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وأمّا طلب

الشفاعة منهم فلا يرتبط من قريب ولا بعيد بالعبادة. ويقولون: إنّ الحق ما نقوله فقط. على مفترق طريقين، ص: ۹۱ فنقول: إنّ القرآن الكريم نفسه أمر المذنبين بالذهاب إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وطلب الاستغفار و «الشفاعة» منه عند اللّه تعالى ليغفر لهم: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» «۱». وأوضح من ذلك ما ورد فى قصة يعقوب عليه السلام وأولاده حيث اعترفوا بذنبهم فيما يتعلق بيوسف عليه السلام وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم و «يشفع» لهم عند اللّه تعالى «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» «۲». فلم ينكر عليهم يعقوب طلبهم الوساطة والشفاعة عند اللّه تعالى، بل أمضى ذلك وأيّده. فهل أنّ نبى اللّه يعقوب عليه السلام إتّهم أولاده بالشرك والكفر بسبب ذلك؟

التبرير الواهى

والنكتة الملفتة للنظر أنّ الوهابيين المتعصبين وبسبب جهلهم وعدم قدرتهم على الجواب عندما يصلون إلى هذا الموضوع يغيّرون مسار الكلام ويقولون: إنّ الآيتين أعلاه تتعلقان بزمن حياة النبى صلى الله عليه و آله ولكن بعد الموت لا يقدر النبى صلى الله عليه و آله على شىء من هذه الامور. وعليه فإنّ طلب الشفاعة من نبى الإسلام صلى الله عليه و آله بعد وفاته ليس على مفترق طريقين، ص: ۹۲ بنافع. هنا لاحظوا بدقّة أنّ مسألة الشرك والكفر تخلى مكانها لمسألة «عدم النفع» حيث يقولون إنّ الإنسان لو طلب الشفاعة من الأنبياء فى حياتهم لا يكون ذلك من الشرك أو الكفر، ولكن بعد وفاتهم سيكون هذا الطلب لغواً وغير مثمر. وهذا فى الحقيقة بمعنى النكوص على جميع الادّعاءات السابقة، «فتدبر». ونقول فى هذا الصدد: إنّ هذا الطلب ليس من الكفر ولا من اللغو، لأنّ أى مسلم لا يسمح لنفسه أن يعتقد بأنّ مقام نبى الإسلام صلى الله عليه و آله أقل شأناً من الشهيد العادى فى بدر واحد، حيث يقول تعالى عن هؤلاء الشهداء: «... أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» «۱». فأى جفاء لرسول اللّه صلى الله عليه و آله أشنع من هذا الكلام!! ولعل فهمهم الخاطىء ناشىء من قوله تعالى مخاطباً نبيّه الكريم: «إِنَّكَ لَاتُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» «۲». والحال أنّ هذه الآية الشريفة ناظرة إلى الأشخاص العاديين لا إلى النبى صلى الله عليه و آله والأولياء الطاهرين. ينبغى أن نسأل من هؤلاء: إذن لماذا تسلمون على رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى صلاتكم وتقولون: «السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، هل يعقل السلام على من لا يدرك شيئاً (ونعوذ باللّه)؟ هل أنّ قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ على مفترق طريقين، ص: ۹۳ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً» «۱» ، تتعلق فى حياة النبى صلى الله عليه و آله خاصة أم بعد وفاته أيضاً؟ ونسأل: على من يرسل اللّه تعالى والملائكة والمؤمنون الصلوات والرحمة؟ هل يعقل أن تكون الصلاة على من لا يدرك شيئاً «نعوذ باللّه». ولماذا نصبتم لافتة فوق الضريح المقدّس إلى جانب الرأس وكتبتم فيها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» «۲». لماذا لا تسمحون لأحد أن يرفع صوته هناك (إلى جانب قبر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله)؟ فإذا كنتم تعتقدون بأنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعد وفاته لا يفهم شيئاً «العياذ باللّه» فلماذا لا نرفع اصواتنا عند قبره صلى الله عليه و آله. ألا تقترب هذه الأفكار والعقائد من نهاية الخط؟ عليكم بالانصاف فى الاجابة:

ه) مفهوم «الدعاء فى القرآن»

اشارة

ومن جملة المفاهيم الدينية التى وقع الوهابيون فى فهمها فى خطأ شنيع وحكموا بسبب هذا الفهم الخاطىء بكفر الكثير من المسلمين، مفهوم «الدعاء» فى القرآن. حيث يعتقدون بأنّ كل شخص يدعو على مفترق طريقين، ص: ۹۴ النبى أو أحد أولياء اللّه والصالحين من عباده فهو مشرك وكافر ويستباح دمه وماله. وقد ذكر «الصنعانى» وهو من أنصار عقائد محمد بن عبدالوهاب فى كتابه «تنزيه الاعتقاد» كلاماً فى بيان عقيدتهم فى الدعاء وقال: إنّ اللّه تعالى أطلق على الدعاء كلمة العبادة وقال: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» «۱». فعلى هذا الأساس لو دعا شخص النبى صلى الله عليه و آله أو ولى صالح لأمر من الامور أو قال: اشفع لى عند اللّه فى قضاء حاجتى، أو قال: اطلب قضاء حاجتى بواسطتك من اللّه تعالى، وأمثال ذلك، أو قال: اقضى عنى دينى أو شافى مرضى، وأمثال ذلك، وبما أنّ الدعاء عبادة، بل مخ العبادة، فإنّ هذا الشخص قد عبد غير اللّه وهو مشرك، لأنّ «التوحيد» لا يكتمل إلّاأن يعتقد الإنسان بأنّ اللّه تعالى هو الخالق والرازق فقط ولا يعترف بغيره خالقاً ورازقاً ولا يعبد غيره حتى بعض العبادة» «۲». هذه الكلمات والعبارات تتكرر فى الكثير من كتبهم وأدبياتهم. وهكذا يستند هؤلاء فى اتّهامهم الآخرين بالكفر والشرك على هذه الآية المذكورة فى كلام الصنعانى، وكذلك بآيات اخرى من قبيل: ۱- «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» «۳». على مفترق طريقين، ص: ۹۵ ۲- «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَىْءٍ» «۱». ۳- «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ...» «۲». حيث يفهمون من هذه الآيات الشريفة ما فهمه الصنعانى أيضاً، يعنى لا يحق لأحد أن يقول: «يا رسول اللّه اشفع لى عند اللّه» وإلّا فهو كافر ومهدور الدم! وعلى هذا الأساس فإنّ أحد العوامل المهمة التى سببت حالة العنف لدى هذه الجماعة بحيث قتلوا الآلاف المؤلفة من الناس الأبرياء ونهبوا أموالهم واستباحوا أعراضهم هو الفهم الخاطىء لمعنى «الدعاء فى القرآن الكريم». والآن نعود إلى الآيات الشريفة ونستفهم منها معنى «الدعاء فى القرآن الكريم» ليتضح أنّ الدعاء لغير اللّه أحياناً يتناسب مع الكفر واخرى مع الإيمان، ولكنّ هؤلاء المتعصبين وبسبب قلّة اطّلاعهم والترسبات الذهنية لديهم وقعوا فى هذا الفهم الخاطىء والقراءة الزائفة والخطرة للمفاهيم القرآنية. «واتفق لنا أنّ ثبت بالتجربة أنّ بعض الأفراد فى حوزاتنا العلمية تحصل لديهم أحياناً ميول وهابية (وإن كان نادراً جداً) حيث نرى هؤلاء يعيشون مشكلة فى فهم الدروس الحوزوية وقلّة المعلومات على مفترق طريقين، ص: ۹۶ وسطحية التفكير». على أيّة حال فإنّ مفردة «الدعاء» وردت بمعانٍ مختلفة فى القرآن الكريم: ۱- «الدعاء» بمعنى العبادة كقوله تعالى فى الآية ۱۸ من سورة الجن: «... فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً»، حيث وردت العبارة «مع اللّه» وتشير إلى أنّ المراد عبادة غير اللّه والاعتقاد بالشريك للّه تعالى، والشاهد على هذا المعنى، الآية ۲۰ من هذه السورة: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً». إنّ أى مسلم يعلم أنّ الدعاء بهذا المعنى مختص باللّه تعالى، فلا أحد يصل إلى مرتبة الالوهية غيره وليس هناك شك وترديد فى هذه المسألة. ۲- «الدعاء» بمعنى دعوة الآخرين بالاتجاه لأمر معيّن من قبيل ما ورد فى قوله تعالى على لسان النبى نوح عليه السلام: «قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَاراً* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَاراً» «۱». وبديهى أنّ دعوة هؤلاء القوم هى فى الحقيقة دعوة للإيمان وهذا النوع من الدعاء عين الإيمان وامتثال هذا الأمر واجب على الأنبياء. وهكذا ما ورد بالنسبة لنبى الإسلام صلى الله عليه و آله حيث يقول تعالى مخاطباً إيّاه: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...» «۲». ۳- «الدعاء» بمعنى طلب الحاجة، فأحياناً يكون طلب الحاجة على مفترق طريقين، ص: ۹۷ من طرق طبيعية مثل: «... وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ...» «۱». فعندما يتمّ دعوة بعض الناس لأداء الشهادة فلا ينبغى لهم الامتناع. وهذا الدعاء فى هذا المورد دعوة فى الامور العادية، ومعلوم أنّ من يدعو الشهداء لا يكون كافراً بل يؤدّى وظيفته الشرعية، وأحياناً يكون طلب الحاجة من الطرق غير الطبيعية، أى طريق المعجزة وهذا بدوره على قسمين: أحياناً طلب الحاجة مع اعتقاده باستقلال الطرف الآخر «غير اللّه» فى التأثير، وأحياناً اخرى يطلب الحاجة من شخصية كبيرة بأن يطلب من اللّه تعالى قضاء حاجاتنا. القسم الأول عبارة عن نوع من الشرك، لأنّه يعتقد باستقلالية المدعو فى التأثير، فجميع الأسباب والمسببات العادية لا تؤثر شيئاً إلّا بإذن اللّه تعالى. يقول القرآن الكريم فى هذا المجال: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا» «۲». أى أنّ هؤلاء غير قادرين على حلّ مشاكلكم وغير قادرين على ايجاد أى تغيير فى حياتكم. ولا يوجد أى إنسان مؤمن

ومطّلع يعتقـد بمثل هـذه العقيدة بالنسبة على مفترق طريقين، ص: ۹۸ للأنبيـاء والأولياء. أمّا القسم الثانى وهو توحيـد الإنسان الكامل، بمعنى أنّ الإنسان عندما يجعل بينه وبين الذات المقدّسة واسطة وشـفيعاً ويرى فى نفس الوقت أنّ اللّه تعالى هو مسبب الأسـباب وأنّ جميع الأمور فى قبضـته وبمشيئته ولكنّه يتقرب إليه من خلال التوسل بأوليائه ويطلب منه الحاجة بواسطتهم فهذا عين التوحيد والإيمان بالمشـيئة الإلهيّة المطلقة. ويحدثنا القرآن الكريم عن بنى اسـرائيل عندما جاءوا إلى موسـى عليه السـلام وطلبوا منه أطعمة متنوعة «غير المنّ والسـلوى» ويقول: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا ...» «۱». ولم يعترض موسـى عليه السـلام عليهم أنّكم لمـاذا دعوتمونى وطلبتم منّى أن أسـأل اللّه ذلك ولم تطلبوا ذلك مباشـرة من اللّه تعالى وأنّ هذا العمل كفر وشـرك، بل نرى أنّ موسـى اسـتجاب لهم طلبهم وسأل اللّه تعالى ذلك: «لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ»، ولكنّه قال لهم معترضاً إنّكم تركتم الطعام الجيد وطلبتم الأطعمة الدانية.

النتيجة

يسـتفاد ممّا تقـدم من البحث أنّ هـذه الجماعـة من الوهابيين بدلًا من مراجعتهم للموارد المختلفة فى معنى «الدعاء» فى القرآن والتدبر على مفترق طريقين، ص: ۹۹ فى مجموع التعاليم الواردة فى هذه المسألة، اكتفوا بقراءة بعض الآيات وقنعوا بمدلولها و تركوا ما سواها من الآيات وبالتالى حكموا على أكثريـة المسـلمين بالشـرك والكفر، والأنكى من ذلك أنّهم تحركوا فى اتهامهم وحكمهم هـذا على مستوى الممارسة والعمل وقتلوا الكثير من المسلمين المخلصين وسفكوا دماءهم ونهبوا أموالهم كما تقدمت الإشارة إليه.

و) البدعة فى الكتاب والسنّة

والسادس من المفردات القرآنيـة التى أساءت هـذه الفئـة من الوهابيين المتعصبين فهمها، مفردة «البدعـة». ويحـدثنا القرآن الكريم فى مورد ذمّ الرهبانية فى الآية ۲۷ من سورة الحديـد حيث يقول: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ...». إذا قلنا إنّ هـذا الاسـتثناء فى الآيـة، اسـتثناء متصل كما هو ظاهر الآيـة فيكون مفهوم الآيـة هو ما يظهر من سـياقها، أى أنّ المسـيحيين أبدعوا نوعاً من الرهبانية وترك الدنيا لم يكتبه اللّه تعالى عليهم ولم يرد فى التعاليم السماوية، وفى نفس الوقت لم يرعوها حق رعايتها، كما سـيأتى تفصيل هذا المعنى لاحقاً. وإذا قلنا إنّ الاستثناء فى الآية منقطع، فمفهوم الآية هو أننا لم نأمرهم بالرهبانية «بل هى بدعـة ابتدعوها» وقد أوصـيناهم «بِابْتِغاءِ على مفترق طريقين، ص: ۱۰۰ مَرضاةِ اللَّهِ». ولكنهّم لم يرعوا هـذه التوصـية. على أيّة حال هذه الآية الشـريفة تذم هذه البدعة، وهى البدعة التى يقول عنها المؤرخون بدأت بعد عدّة قرون من حياة المسيح عليه السلام وبسبب حوادث تاريخيـة مؤسـفة أدّت إلى هزيمـة المسـيحيين ولجوء أفراد منهم إلى الجبال والوديان حيث اختاروا العزلـة والانزواء وتدريجياً ظهرت الرهبانية على شـكل ظاهرة دينية، وفى البداية لجأ بعض الرجال من الزاهدين والتاركين للدنيا إلى أماكن يطلق عليها «الدير» ثم التحق بهم بعض النسوة التاركات للـدنيا واخترن الحياة فى «الـدير» وهنّ «الراهبات». ومن جملـة التقاليـد الخاطئة التى اقترنت بالرهبانية وشاعت بين الرهبان والراهبات، مسألة «ترك الزواج» بشكل مطلق وهو أمر يخالف السنّة الإلهية والطبيعة للبشرية وصار منبعاً للكثير من المفاسـد وأشـكال الانحراف. ويتحـدث المؤرخ المشـهور «ول ديورانت» فى تاريخه المشـهور «قصـة الحضارة» فى بحث مفصّل حول الرهبـان وسـلوكياتهم، وضـمن اعترافه بانضـمام الراهبـات إلى صومعات الرهبنـة فى القرن الرابع الميلادى شـرعت ظاهرة الرهبانيـة فى الازدهار والنمو حتى وصـلت إلى الـذروة فى القرن العاشـر للميلاد «۱». ورغم أنّ الرهبان والراهبات قـدّموا خـدمات اجتماعية متنوعة على مفترق طريقين، ص: ۱۰۱ طيلة تاريخهم، ولكنّ المفاسد الاجتماعية والأخلاقية الناشـئة من هذه الظاهرة كانت أكثر، والأفضل أن نصـرف النظر عن تفاصـيل هـذه الامور المـذكورة فى كتب المؤرخين المسـيحيين. أجـل، فمن الطبيعى أن تكون عاقبـة البـدع بهـذه

الصورة غالباً. على أيّة حال، فمضافاً للآية المذكورة، هناك روايات كثيرة في ذم البدعة وردت في المصادر الإسلامية، ومنها الحديث النبوى المعروف «كُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَة»، المذكور في مصادر روائية كثيرة منها «مسند أحمد» و «مستدرك الصحيحين» و «سنن البيهقى» و «المعجم الأوسط للطبرانى» و «سنن ابن ماجه» «۱». وهكذا عندما رأى الوهابيون المتعصبون هذه الأحاديث تحركوا في البداية، بدون التدبر في معنى «البدعة»، على مستوى مخالفة كل ظاهرة جديدة حتى أنّهم أطلقوا على الدراجة «مركب الشيطان» وخالفوا بشدّة نصب خطوط الهاتف، ولكنّ لمّا شاهدوا معالم التطور الحضارى السريع في العالم أذعنوا لظاهرة التمدن الغربى، وليس فقط قبلوا بالأمر الواقع بل غرقوا في ظواهر التمدن هذه، فعندما نتوجه في هذه الأيّام إلى العربية السعودية نرى السيارات الفخمة من آخر طراز، ووسائل التهوية الحديثة، وأفضل وأرقى وسائل الراحة في المنازل على مفترق طريقين، ص: ۱۰۲ وحتى أنواع الأجهزة والأطعمة الغربية قد ملأت الأسواق الحديثة في كل مكان حيث يستفيد منها الكبير والصغير والعالم والجاهل. وفي هذا المجال نراهم قد تركوا المخالفة مع هذه «البدع» ولكنّهم ظلوا متمسكين بمخالفة البدع التي لها صبغة مذهبية من قبيل: البناء على القبور، مراسيم احياء الذكرى السنوية لميلاد النبي وأولياء الدين، ومراسيم إقامة العزاء على الشهداء وأمثال ذلك، فكل من تحرك في هذا الخط ومارس هذه الشعائر وصَموه بالمبتدع واعتبروه مستحقاً لجميع أشكال اللوم والتوبيخ. ولكننا نتساءل: ما هي البدعة في حقيقتها، ومتى تكون حراماً؟ ورغم أننا أشرنا سابقاً إلى هذا الموضوع ولكن لا بأس من توضيح أكثر لهذه المسألة: «البدعة» في اللغة، كما تقدمت الإشارة إليه، بمعنى كل تجديد في الامور، خيراً كان أو شرّاً، وهي في اصطلاح الفقهاء: «إدخال ما ليس من الدين في الدين». أجل، فكل شيء لم يكن من الدين إذا دخل في الدين واعتبر حكماً إلهياً فهو بدعة. والبدعة تكون على نحوين: أن يكون الواجب حراماً والحرام واجباً، أو يكون الممنوع مباحاً أو المباح ممنوعاً. مثلًا، نقول إنّ النظام المصرفي في هذا العصر يقوم على عمليات ربوية ولا يمكن اجتنابه، وعليه لابدّ من قبوله، أو نقول إنّ الحجاب على مفترق طريقين، ص: ۱۰۳ كان يتعلق بزمان كانت المجتمعات البشرية غير متمدنة، ولكن اليوم لا مانع من كشف الحجاب، ونبرر ذلك بأشكال من التبريرات التي تفضى إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال، فكل هذه الموارد من المصاديق البارزة للبدعة. وأحياناً نقرر بعض الامور التي لم ترد في التعاليم الدينية وليس لها أصل في الكتاب والسنّة أنّها جزء من الدين، مثلًا إقامة مراسم العزاء على الأموات في اليوم الثالث والسابع ويوم الأربعين من يوم الوفاة على أساس أنّ ذلك جزء من تعاليم الإسلام وهي في الحقيقة امور عرفية، أو نعتقد بأنّ الفرح وإقامة الاحتفالات في الأعياد الإسلامية واجب شرعي وأمثال ذلك. وببيان أفضل، إنّ ظواهر التجديد على ثلاثة أقسام: ۱- التجديد في الامور العرفية تماماً والتي لا ترتبط بالمسائل الشرعية من قبيل التجديد في امور الصناعة والاختراعات والامور الطبيعية التي لم تكن في زمان وعصر نبي الإسلام صلى الله عليه و آله وسائر أولياء الدين المعصومين، لأنّ قافلة العلوم والاختراعات لا تعرف التوقف والسكون، فمثل هذه البدع تعتبر من البدع المفيدة والبنّاءة، لأنّ جميع العقلاء في العالم يرحبون بكل ظاهرة مفيدة بدون تعصب ومن أي قوم ومجتمع بشرى. ۲- التجديد في الامور العرفية حول الموضوعات الشرعية بدون نسبتها إلى الشرع، مثل بناء المساجد بكيفية خاصة، بناء المنائر، المحاريب، الفسيفساء والكاشي المعرّق، الزخرفة في الخط، على مفترق طريقين، ص: ۱۰۴ الاستفادة من المكروفون ومكبرات الصوت لبث الاذان ومئات الموارد من هذا القبيل. ومعلوم أنّ هذه الامور لم تكن في عصر نبي الإسلام صلى الله عليه و آله فهل يقول أحد أنّ هذه الامور من البدعة وأنّها حرام؟ في حين أنّ جميع المسلمين يستخدمونها وحتى العربية السعودية ومراكز الوهابية ومسجد النبي زاخرة بهذه المظاهر الجديدة، وهكذا بالنسبة للتغييرات الكثيره التي حدثت في المسجد الحرام والتي لا تشبه ما كان في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه و آله. وأهم من ذلك بناء الطبقة الثانية في الصفا والمروة لسعي الحجاج، وكذلك التغيير الكبير في الجمرات ونقل محل الهدى إلى خارج منى وأمثال ذلك. هذه التغييرات وأشكال التجديد امور عرفية تسير بموازاة الشريعة لغرض تسهيل أعمال الحج أو رفع المشاكل والاخطار التي يواجهها الحجاج ولم يعتقد أحد بأنّ هذه الامور من جملة الأحكام الشرعية أو أنّها بدعة في الدين. وهكذا الحال في تشكيل مجالس مسابقة قراءة القرآن، وانتخاب أفضل قارىء وحافظ ومفسّر للقرآن الكريم. ومعلوم أنّ أية واحدة من هذه المظاهر لم تكن

فى عصر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بل حدثت فى هذا العصر لغرض تقديم تسهيلات ولدعم المقاصد الدينية ولا أحد يقول إنّها من الدين. ومن هذا القبيل احترام الموتى من خلال مجالس الترحيم وفى مقاطع زمنية خاصة. على مفترق طريقين، ص: ١٠٥ وأيضاً تشكيل المؤتمرات والاجتماعات الدينية لتكريم أولياء الدين وتخليد ذكراهم. احتفالات فى ذكرى ولادات أولياء الدين. مجالس الترحيم والتكريم فى ذكرى استشهادهم أو وفاتهم. وأمور اخرى من هذا القبيل تفضى إلى تقوية دعائم الإسلام فى نفوس المؤمنين وتورث العزة للمسلمين وتميط حجب الغفلة والجهل عنهم وتؤدى إلى زيادة معرفتهم بدينهم. لقد جرّبنا فى أجوائنا الاجتماعية مرات عديدة أنّ إقامة مثل هذه النشاطات العرفية فى دائرة الامورالدينية توقظ فى الناس مكامن الشعور بالالتزام الدينى وتوجب مزيداً من المعرفة بتعاليم الدين وخاصة بالنسبة للشبّان حيث تثير فيهم الاهتمام بالمعارف القرآنية والإسلامية، وبديهى أنّ تعطيل هذه البرامج الدينية يفضى إلى خسارة كبيرة للمسلمين. على أيّة حال فهذه امور عرفية لا يتوهم أى مسلم أنّ اللَّه تعالى أو رسوله الكريم صلى الله عليه و آله قد أمر بها. وبعبارة اخرى أنّ هذه الامور التى هى ليست من الدين لا تعتبر من الدين. وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبارها بدعة: «وأنّ كُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»، وبالتالى التصدى لها ومحاربتها. ٣- وهناك نوع آخر من البدعة هى البدعة الحرام التى أشرنا إليها سابقاً، وهى الجرأة على حريم الدين ووضع قانون مخالف للقوانين الدينية أو زيادة قانون عليها أو حذف قانون منها بدون مسوغ شرعى على مفترق طريقين، ص: ١٠٦ ولا دليل عليه من النصوص الشريفة. ولكن المتعصبين الوهابيين وبسبب قلّة معلوماتهم فى دائرة الفقه الإسلامى وعلم الاصول لم يتمكنوا من التمييز بين هذه الأنواع الثلاثة فى البدعة وتورطوا فى منزلقات الوهم والخطأ وأخذوا يتهمون اخوتهم المسلمين بالبدعة، وبالتالى اتهموهم بالشرك والمروق من الدين. ننهى هذا البحث بكلام للعالم الفقيه «محمد بن علوى المالكى» وهو من العلماء الكبار و المدرسين المعروفين فى المسجد الحرام. فقد ذكر فى كتابه «مفاهيم يجب أن تصحح» فى بحث البدعة تحت عنوان «البدعة الحسنة والسيئة» كلاماً خلاصته ما يلى: إنّ بعض الجهّال المتعصبين الذين يعيشون ضيق الافق نسبوا أنفسهم بدون مسوغ، للسلف الصالح وأخذوا بمخالفة كل أمر جديد واختراع مفيد بعنوان أنّه بدعة وكل بدعة ضلالة، دون أنّ يميزوا بين البدع والامور الجديدة، ودون أن يعرفوا البدعة الحسنة والسيئة، إنّ التمييز بينهما يفرضه العقل السليم والفكر الصائب وقد أقرّه بعض كبار علماء الاصول مثل «النووى» و «السيوطى» و «ابن حجر» و «ابن حزم». وعندما نضم الأحاديث النبوية بعضها إلى بعض ونتحرك على مستوى تفسيرها وفهم المراد منها فسنصل إلى هذه النتيجة بالذات. ومن جملة الأحاديث ما ورد من أنّ «كلّ بدعة ضلالة» الناظر إلى البدع السئية التى لا تدخل تحت أى أصل من اصول الشريعة. على مفترق طريقين، ص: ١٠٧ ثم يضيف: إنّ البدعة بمعناها اللغوى «تعنى التجديد» ليست حراماً، وأمّا الحرام والضلالة فهى البدعة بمعناها الشرعى، وهى إضافة ما ليس من الدين بحيث يتخذ لنفسه صبغة دينية وشرعية ويؤخذ على أساس أنّه أمر شرعى منسوب لصاحب الشريعة ويعمل به المسلم من هذا الموقع. وأمّا البدعة الدنيوية وهى أنواع الابداعات المتعلقة بامور الدنيا فليست حراماً أبداً. وعليه فإنّ تقسيم البدعة إلى: حسنة وسيئة، ناظر إل المعنى اللغوى، وأمّا البدعة الشرعية فليس لها إلّانوع واحد، وهو البدعة الحرام، فإذا أدرك المخالفون لهذا التقسيم مفهوم «المقسم» فسوف لا يخالفونه اطلاقاً ويعلمون أنّ النزاع لفظى فى هذه الموارد. أجل، فإنّ من بين البدع الدنيوية اموراً مفيدة جدّاً لابدّ من قبولها والترحيب بها، وهناك امور أيضاً ليس فيها سوى الشر والفساد «١» (إشارة لبعض أشكال التحلل الاجتماعى والانحطاط الخلقى). على مفترق طريقين، ص: ١٠٩

الفصل الثانى

١- النداء المنطلق من مكّة المكرمة

السيد محمد بن علوى ونقده الواضح

لقد وعدنا لقارىء الكريم فيما سبق أن نستعرض بعض ما ورد فى كتاب «السيد محمد بن علوى» العجيب. إنّ السيد محمد بن علوى عالم شجاع عاش فى مكّة وقد حاز على كرسى التدريس فيها، وهو مورد احترام علماء مكّة الكبار ورجال الحكومة فى السعودية، وقد توفى فى الأعوام الأخيرة وعاشت المنطقة أجواء الحزن والتأثر الشديد لفقده. وكان يلقب نفسه «خادم العلم الشريف بالبلد الحرام»، وكان «مالكياً» ومن ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام ويلقب نفسه «بالحسنى». وكانت دائرة درسه فى المسجد الحرام من أوسع وأكثر حلقات الدروس عدداً وخلّف تصانيف كثيرة فى العلوم الإسلامية، وكان العلوى مخالفاً جدّاً للوهابيين المتعصبين حيث كتب أخيراً كتابه «مفاهيم يجب أن تصحّح» فى نقد أفكار وعقائد هذه الجماعة. وقد شرع فى هذا الكتاب بنقد علمى ومؤدب «كما يظهر من على مفترق طريقين، ص: ١١٢ عنوان الكتاب» لأهم الدعائم الفكرية لهذه الجماعة المتعصبة مستنداً فى جميع مقولاته على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى المصادر المعتبرة لأهل السنّة، وكذلك اعتمد على كتب ومصادر لا- يستطيع الوهابيون المتشددون انكارها. وقد استطاع العلوى فى هذا الكتاب استعراض سلسلة من المفاهيم والتصورات الخاطئة التى تدور أذهان هذه الجماعة حولها بحيث أدّت بهم إلى اتهام الكثير من المسلمين بالكفر واستباحة نفوسهم وأموالهم وسببت فى اهتزاز عامل التوحد بين المسلمين، وقد نجح المؤلف فى بيان ضرورة إصلاح هذ المفاهيم وأدّى دوره بأحسن وجه. هذا الكتاب ولعدّة وجوه ليس له نظير: ١- إنّ هذا الكتاب طبع عشر مرات فى مدّة عشر سنوات، بل فى إحدى السنوات طبع أربع مرات واستقبل استقبالًا واسعاً فى أكثر البلدان الإسلامية حتى فى العربية السعودية. ٢- إنّ الكثير من علماء اهل السنة الكبار فى مصر، المغرب، السودان، البحرين، الباكستان، الامارات، كتبوا تقريظاً لهذا الكتاب وأثنوا على آراء «بن علوى» وشجاعته وقد ذكرت هذه التقاريظ فى ٧٠ صفحة من بداية الكتاب وتمثل ٢٣ تقريظاً ممّا يحكى عن نوع من الإجماع على صحة ما ورد فى مواضيع هذا الكتاب بحيث إنّ هذه التقاريظ تمثل لوحدها كراساً شيقاً. ٣- بالرغم من أنّ هذا الكتاب قد طبع فى دبى، ورغم وجود على مفترق طريقين، ص: ١١٣ المراقبة الشديدة من قبل السلفيين المتعصبين على سوق الكتاب فى العربية السعودية وعدم سماحهم بنشر أى كتاب يتضمن نقداً لأفكارهم وآرائهم، إلّاأنّ هذا الكتاب متوفر فى سوق مكّة وقد حصلنا على نسخة منه هناك. وهذا يشير إلى أنّ الشريحة الجديدة للوهابيين «كما تقدم سابقاً» تخالف أفكار السلفيين المتعصبين وترى ضرورة اعادة النظر فى هذه الأفكار والرؤى.

نماذج من تقاريظ الكتاب

ونكتفى هنا بذكر ثلاثة نماذج وبشكل مختصر فى تأييد وتمجيد هذا الكتاب من قبل علماء معروفين فى العالم الإسلامى ليتبين جيداً حقيقة الموقف الذى يقفه العالم الإسلامى بوجه هذه الجماعة المتعصبة من الوهابيين: ١- يقول «الدكتور عبدالفتاح بركة» الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ضمن تقريظه لهذا الكتاب: «وهذا الكتاب النفيس (إشارة لكتاب ابن علوى) جهد كبير من عالم مدقق محقق يعمل به على جمع كلمة المسلمين ومحو آثار العصبية عند الاختلاف فى المسائل الفرعية والاجتهادية خاصة فيما يتعلق بتنابذ بعض طوائف المسلمين فيما بينهم بالكفر أو بالشرك وما يتعلق ببعض الفرق الإسلامية كالأشاعرة والسلفية الحديثة وباستعمال المجاز العقلى وضرورة ملاحظته عند تطبيق المقاييس على مفترق طريقين، ص: ١١٤ على ما يكون به الكفر والإيمان، وكذلك بالنسبة لمعنى الشفاعة وقبر الرسول صلى الله عليه و آله وغير ذلك من الموضوعات الحساسة. ونأمل أن يكون هذا الكتاب القيم عاملًا مهماً لرص الصفوف ورفع الاختلافات بين المسلمين» «١». ٢- ويقول «الشيخ أحمد العوض» رئيس مجلس الافتاء الشرعى فى «السودان» فى تقريظه لهذا الكتاب: «أمّا بعد: فقد تهيأت لى الفرصة- الحمد اللَّه ربّ العالمين- للإطلاع على الكتاب الذى ألفه العالم المحقق والشريف السيد/ محمد بن علوى المالكى المكى الحسنى- خادم العلم بالحرمين الشريفين- والذى سماه «مفاهيم يجب أن تصحّح»، تعلقت هذه المفاهيم بأمور ثلاثة ضمنها مؤلفه فى أبواب ثلاثة: اشتمل الباب الأول على المباحث المتعلقة بالعقيدة حيث بيّن بالأدلة والبراهين فى هذا الباب فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم. وفى الباب الثانى بيّن كذلك الأحاديث النبوية المشتملة على

خصائص النبی صلى الله عليه و آله وحقيقة النبوة وحقيقة البشرية، ومفهوم التبرك بالنبی صلى الله عليه و آله وبآثاره، وجاء فيه بالأدلة والبراهين القاطعة الواردة عن الصحابة من بعدهم من علماء الامة الأجلاء. وتعرض فی الباب الثالث لمباحث تكلّم فيها عن الحياة البرزخية، ومشروعية الزيارة النبوية، وما يتعلق بها من الآثار والمشاهد على مفترق طريقين، ص: ١١٥ والمناسبات الدينية، وغير ذلك ممّا له تعلق بهذا المقام، فحقق ودقق وأصلح الأفهام «١». ٣- ويقول «عبدالسلام جبران» رئيس المجمع العلمی الاقليمی فی مراكش وباتفاق أعضاء ذلك المجلس فی تقريظه الجامع لهذا الكتاب: «ولما عرض هذا الكتاب على أنظار العلماء العارفين تلقوه بالقبول والثناء على مؤلفه الذی أدّی عنهم واجباً فی عنقهم تجاه اللّه ورسوله صلى الله عليه و آله والامة بل ربّما عقمت أقلام كثيرين عن ميلاد هذا الكتاب، ولهذا فإنّ أعضاء المجلس العلمی بمراكش وبإشراف الرئيس بعد الاطلاع على هذا المؤلّف وقراءة بعض فصوله والتأمل فيها، يوافق مؤلِّفه الموافقة التامة عليه، شاكرين له مجهوده الكبير ومباركين صنيعه الجميل» «٢». مضافاً إلى كل هذه التقاريض فقد أورد كبار ادباء العرب أبياتاً جميلة وعميقة المضمون فی تمجيد هذا الكتاب، ونكتفی هنا بذكر ثلاثة أبيات منها، وهذه الأبيات أنشدها «الشيخ محمد سالم عدود» الرئيس الأسبق لمحكمة موريتانيا العليا وعضو المجمع الفقهی لرابطة العالم الإسلامی فی مكّة المكرمة: على مفترق طريقين، ص: ١١۶ صحّت مفاهيم كان الناس قد هاموا فيها وزايلها لبس وإبهامُ بحث دقيق عميق لا يقوم له خبط وخلط وتدليس وإبهامُ أبدی به العلوی المالكی لنا ما لم تنله من الحذّاق أفهامُ «١»

محتوى الكتاب

أشرنا إلى محتويات الكتاب من خلال بعض ما ذكره العلماء فی تقريظ هذا الكتاب أنّه يتناول نقد أفكار الوهابيين المتشددين فی ثلاثة محاور ويبيّن ضعفها وزيفها على أساس الآيات والروايات الشريفة:

المحور الأول

مباحث فی العقيدة، وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل، حيث يقول بصراحة: «يخطیء كثير من الناس (ومقصوده السلفيون المتعصبون) أصلحهم اللّه فی فهم حقيقة الأسباب التی تخرج صاحبها على مفترق طريقين، ص: ١١٧ عن دائرة الإسلام وتوجب عليه الحكم بالكفر، فتراهم يسارعون إلى الحكم على المسلم لمجرّد المخالفة حتی لم يبق من المسلمين على وجه الأرض إلّاالقليل ...». ويعتقد المؤلف إنّ هذا المذهب لا يرى هذا الافراط والشدّة فی عملية الاتهام والحكم على الآخرين، ثم يورد الحديث النبوی المعروف: «سُِبابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، ويشدد النكير على من يسبّ المسلمين ويدعو لحربهم وينطلق فی بيان حدود الإيمان والكفر من خلال الأدلة القوية ويثبت خطأ السلفيين المتعصبين. والملفت للنظر أنّه يستخدم أحياناً عبارات حادّة فی مقابل المخالفين بيدَ أنّه لا يجانب الأدب فی محاجّتهم ومناقشتهم. وعلى سبيل المثال ينقل عن المخالفين فی مورد خوارق العادات أنّهم يقولون: «إنّ الناس يطلبون من الأنبياء والصالحين الميّتين ما لا يقدر عليه إلّا اللّه وذلك الطلب شرك». وجوابه: إنّ هذا سوء فهم لما عليه المسلمون من قديم الدهر وحديثه فإنّ الناس إنّما يطلبون منهم أن يتسببوا عند ربّهم فی قضاء ما طلبوه من اللّه عزّوجلّ بأن يخلقه سبحانه بسبب تشفعهم ودعائهم كما صحَّ ذلك فی الضرير وغيره ممن جاء طالباً مستغيثاً متوسلًا به إلى اللّه، وقد أجابهم إلى طلبهم وجبر خواطرهم وحقق مرادهم بإذن اللّه ولم يقل لواحد منهم: أشركت. وهكذا كل من طلب منه من خوارق العادات كشفاء الداء العضال على مفترق طريقين، ص: ١١٨ بلا دواء وانزال المطر من السماء حين الحاجة إليه ولا سحاب، وقلب الأعيان ونبع الماء من الأصابع وتكثير الطعام وغير ذلك ... ثم قال مضيفاً: «أفيكون هؤلاء أعلم بالتوحيد بما يخرج عن التوحيد من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأصحابه، هذا ما لا يتصوره جاهل فضلًا عن عالم» «١». وهكذا نرى أنّ عباراته فی مقابل المخالفين زاخرة بالأدب والابتعاد عن العبارات الموهنة والجارحة فی مقابل ما نجده لديهم من عبارات التكفير والتفسيق والاهانة للمخالفين.

المحور الثاني

مباحث نبويـة، وفيها خصائص النبى صـلى الله عليه و آله وحقيقة النبوة وفقاً للآيات والروايات الشـريفة، ويسـتعرض فى هذا الباب بيان مفهوم التبرک بآثـار رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله وأنّها لا ترتبط بالشـرک من قريب أو بعيـد، ثم ذکر موارد کثيرة من الروايات فى أقوال العلماء فى جواز التبرک بتقبيل يد النبى الأکرم صلى الله عليه و آله والتبرک بالآنية التى شرب منها النبى الأکرم صلى الله عليه و آله، والتبرک ببيت النبى، والتبرک بمنبره وقبره الشريف، والتبرک بآثار الصالحين والأنبياء الأقدمين، کل ذلک من المدارک المعتبرة والمـذکورة فى کتب أهل السـنّة المعروفـة بحيث لا تـدع مجالًا على مفترق طريقين، ص: ۱۱۹ للشک والترديـد فى هذا الأمر، وأورد أسـماء کـثير من الصـحابة الـذين کـانوا يتبرکون بآثـار رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله ويتعجب المؤلـف مع وجـود هـذه الروايـات والمـدارک المعتـبرة کيف أنّ جماعـة تحرکوا من موقع انکـار هـذا الموضوع من دون وعى وعلم بـل من موقع «الجهـل» أو «اضـلال العوام» «۱».

المحور الثالث

وفيه يسـتعرض مباحث مختلفـة عن الحياة البرزخيـة ومشـروعية الزيارة النبوية والدعاء عند قبر النبى والتبرک بآثاره حيث ينقل کلمات الکثير من العلماء الأعاظم فيما يتعلق بهـذا الموضوع. وفى الختام يشـير المؤلف إلى نقطة شـيقة أثارت حفيظة المتعصبين من الوهابيين بشـدّة وهى ما يتعلق بمولد النبى الأکرم صـلى الله عليه و آله، وذکرى الهجرة النبوية، وذکرى البعثة ونزول القرآن، وانتصار المسـلمين فى غزوة بـدر «أول غزوة للنبى»، وليلـة النصف من شـعبان وأمثـال ذلـک. ونعلم أنّ هؤلاـء المتعصبين يعتقـدون أنّ جميع هـذه الامور بدعة، ولهذا تحرکوا على مسـتوى منع هذه الشعائر والاحتفالات بشدّة. وينطلق ابن علوى فى جوابه المنطقى لهؤلاء بقوله: إنّ الاجتماع لأجـل المولـد النبوى الشـريف ما هو إلّاأمر عادى وليس من العبادة على مفترق طريقين، ص: ۱۲۰ فى شـىء ولذلک لا يرتبط بمسألة البدعـة وعـدمها، والحاصل أنّ الاجتماع لأجل مولد النبوى أمر عادى ولکنّه من العادات الخيرة والصالحة التى تشـمل على منافع تعود على الناس بفضل وفير لأنّها مطلوبـة شـرعاً بأفرادها. ويقول أخيراً: وإنّ هذه الاجتماعات هى وسـيلة کبرى للدعوة إلى اللَّه وهى فرصـة ذهبية ينبغى أن لا تفوت، ومن لم يستفد لدينه فهو محروم من خيرات المولد الشريف «۱».

ملاحظة مهمة

إن غرضـنا من بيان هـذه الخلاصة الموجزة لهذا الکتاب القيم لا تعنى أنّ المؤلف المحترم لهذا الکتاب، ابن علوى المالکى المکى لم يجانب الصواب فى کتابه هذا، فهو وإن کان عالماً کبيراً، إلّاأنّه بشر غير معصوم من السهووالنسيان، وغرضنا هو أنّ أساس کلامه الذى يقوم على الدليل والمنطق ويقترن بالشـجاعة الکافية ويتمتع برؤية واقعية للُامور ويحظى بتأييد شـريحة کبيرة جدّاً من علماء الإسلام فى مختلف البلـدان الإسـلامية وحتى العربيـة السـعودية. وهـذا يشـير إلى أنّ المتعصبين الوهـابيين وصـلوا إلى آخر الخط بحيث إنّ العالم الإسلامى استقبل مثل هذا الکتاب الزاخر بنقد أفکار هذه الجماعة المتعصبة، کل هذا الاستقبال. على مفترق طريقين، ص: ۱۲۱ بيدَ أنّ ابن علوى فى مقابل هـذه الخدمـة الکبيرة للعالم الإسـلامى واجه أشـکال الاتهام بالتکفير حتى من قبل الوهابيين المعتدلين حيث ألفوا کتباً ضـده واسـتخدموا فيها کلمات لا مسؤولة وأصدروا عليه حکمهم بالکفر من قبيل کتاب: «حوار مع المالکى» و «الردّ على المالکى فى ضـلالاته ومنکراته». ولکن فى المقابـل نرى أنّ العـالم الإسـلامى لم يرحب بهـذه الکتب المضـادة بل فى نظر مجموعـة من علماء جامعة الأزهر فى مصـر أنّ هذه الکتب تخدم الصـهاينة وتوجه ضربة إلى وحدة العالم الإسلامى، وبقى ابن علوى يتمتع باحترام خاص بين الناس فى العربية السعودية حتى أنّه اشترک فى تشييع جنازته عشرات الآلاف من المسلمين وأرسل المسؤولون فى المملکة العربية

السعودية رسائل التسلية والتعزية لُاسرته مرات عديدة. كل هذه تمثّل جواباً قاطعاً عن ممارسات الوهابيين المتعصبين فى استخدامهم لحربة التكفير والتفسيق القديمة. والملفت للنظر أنّ قاضى مكة أعلن الشكوى ضده ودعاه إلى المحكمة وحتى أنّهم استدعوه إلى محكمة الرياض ووقف يدافع عن كتابه لعدّة ساعات حيث قال أخيراً: «هذا هو اجتهادى وأنتم لستم سوى مجتهدين أيضاً وأنا مجتهد كذلك ولا يحق أن يفرض مجتهد رأيه على مجتهد آخر ...». وهكذا تمّت تبرئته أخيراً. على مفترق طريقين، ص: ۱۲۳

الوهابيون الجدد

اشارة

وفى ختام هذه المقالة نرى من اللازم بيان أمرين:

أ) الشريحة الجديدة للوهابيين

إنّ الفئة التى تتحرك فى منزلق الزوال هى الجماعة من الوهابيين المتشددين الذين تزخر أفكارهم بآراء خطرة بحيث يستبيحون أموال ونفوس وأعراض جميع المسلمين سوى انفسهم، على أساس أنّهم من المشركين، فكيف بغير المسلمين!! ولكننا نشهد بروز شريحة معتدلة من هذه الجماعة، ويمثل الجيل المثقف وطلّاب الجامعات أكثر أفراد هذه الشريحة حتى أنّ من بينهم بعض أساتذة الجامعات والعلماء الكبار، هؤلاء يتمتعون بخصوصيات وسمات معينة، منها: ۱- إنّهم لا يتهمون سائرالمسلمين بالشرك وينكرون سفك دمائهم ويتعاملون مع عقائد الآخرين من موقع الاحترام ولا يتهمونهم بالكفر والبدعة. ۲- إنّهم يفتحون صدورهم للحوار المنطقى والتفاعل الثقافى على مفترق طريقين، ص: ۱۲۴ المشترك بين المذاهب الإسلامية ويستمعون لكلام وآراء الطرف المقابل ويطالعون كتب المذاهب الاخرى. ۳- إنّهم لا- يعتبرون المظاهر الجديدة والايجابية فى الحياة المعاصرة التى لم يقم على حرمتها دليل من الكتاب والسنّة، أنّها بدعة ولا يخالفون إقامة المجالس لتكريم عظماء الإسلام، ويدركون الفرق بين الآداب والتقاليد العرفية وبين الأحكام الشرعية. ۴- يسمحون للنساء فى تحصيل العلم والاشتراك فى النشاطات الاجتماعية المفيدة مع حفظ الحجاب الإسلامى وعنصر العفة. ۵- وبكلمة، أنّهم ضمن إعادة النظر فى النظريات الخشنة التى تدعو إلى استخدام العنف، فإنّهم مستعدون للتعامل مع سائر الفرق الإسلامية فى العالم من موقع التعاون المشترك وتكريس الغضب والخصومة باتجاه من يحارب الإسلام ويعمل على إلغائه والاضرار بالمسلمين، ونرى أنّ هذه الجماعة أخذت تحل محل السلفيين المتشدّدين حيث نرى امتداد نفوذ هذه الجماعة المعتدلة بين الناس فى المجالات العلمية والثقافية وخاصة فى أيّام الحج والعمرة بشكل جلى، وقد أصدروا أخيراً عدّة كتب فى هذا المجال. ونعتقد أنّ زوال تلك الجماعة المتشدّدة وظهور هذه الجماعة المعتدلة بإمكانه أن يساهم فى رسم صياغة جديدة لمعالم الإسلام فى العالم وبالتالى يساهم فى جبران ما خلفه اولئك المتعصبون من آثار سلبية على التعاليم الدينية الإسلامية بسبب آرائهم الخشنة وعقائدهم الخطيرة، وسنرى إن شاء اللّه مقدمات ظهور قوله تعالى: على مفترق طريقين، ص: ۱۲۵ «... يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً» «۱» ، فى عالمنا المعاصر، ويعود الإسلام يحتل مكانة رفيعة بين الأديان فى المجتمع البشرى. إنّ جميع المسلمين فى العالم يرحبون بظهور هذه الشريحة المعتدلة ويرون فيها عاملًا مهماً لتحكيم أواصر الاخوة الإسلامية وتقوية دعائم الوحدة بين المسلمين فى مقابل الأعداء الذين يتحركون على مستوى تحقير المسلمين والتسلط عليهم. والشاهد على ذلك ما نقرأه فى تقاريظ جماعة كبيرة من علماء الإسلام فى مختلف البلدان الإسلامية لكتاب «مفاهيم يجب أن تصحّح». وعلى المسؤولين فى العربية السعودية فتح الحدود المغلقة أمام الكتب الإسلامية وسائر المكتوبات الاخرى للمفكرين الإسلاميين فى البلدان الإسلامية الاخرى وتهيئة الأرضية اللازمة لايجاد الحوار المشترك بين المذاهب الإسلامية وإقامة علاقات وثيقة بين علماء الإسلام فى تلك البلدان حيث يساهم هذا الأمر بتقوية مركزهم

ويعود بالنفع على جميع العالم الإسلامى.

ب) خطر الغلاة

بـديهى أنّ أحـد العوامل التى شـدّدت من فاعليـة الفكر الوهابى بين بعض المسـلمين، ظاهرة إفراط الغلاة وهم بعض الجهلة القشـريين على مفـترق طريقين، ص: ۱۲۶ الـذين عظّموا أولياء الـدين إلى مرتبـة الغلو وذهبوا فى شأنهم إلى حـدّ الألوهيـة وجعلوا منهم شـركاء للّه‌تعـالى. هنـا يقول أمير المؤمنين على عليه السـلام: «هَلَـكَ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ غالٍ وَمُبْغِضٍ قالٍ» «۱». ولا شك أنّ خطر هـذه الطائفة ليس بأقل من خطر الوهابيين المتعصبين، ولولا هؤلاء لما وجد الوهابيون ذريعة لافراطهم فى أفكارهم وعقائدهم. ومن هنا ذهب الغلاة فى عقائـدهم وكلماتهم مـذهباً لا ينسـجم مع روح التوحيد الإسـلامى ولم يرد شـيئاً منه فى الكتاب والسـنّة، من قبيل: خالق السـماوات والأرضـين، وأرحم الراحمين وأمثال ذلك من الصـفات الخاصة باللّه تعالى، فلا ينبغى اطلاق مثل هذه العناوين والصـفات على أولياء اللّه الذين ينكرون مثل هذه المعتقدات المغالية ولا يرضون بها وبالتالى فهى لا تنسـجم مع تعاليم الإسلام. إنّ إصرار بعض الجهلة على هـذه الأفكار المنحرفـة أدى إلى أن يـذهب البعض باتجاه التفريط حيث يساوقون طائفـة الغلاة فى عنصـر العصبيّة والقشـرية، فقالوا إنّ النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله ليس من شأنه فعل أى شـىء بعـد وفاته حتى الشـفاعة والـدعاء للمؤمنين (نعوذ باللّه) وذهبوا إلى أنّ زيـارة مرقـده الشـريف بدعـة وحرام. وهكـذا الحال فى الأشـخاص الـذين ابتعـدوا عن اصول التوحيـد على مفترق طريقين، ص: ۱۲۷ والمبـادىء السـماوية بسـبب اعتقـادهم بالخرافـات والأوهـام من قبيل أنّ نعل الحصان يورث حسن الحظ، وجحوظ العين سـبب لسوء الحظ والشؤم وأنّ الرقم ۱۳ مشؤوم ويورث النحس، أو أنّ صوت الطـائر الفلانـى مبـارك وميمون وصوت الطـائر الآـخر شؤم وأمثال ذلك بحيث غفلوا عن خالق هذه الامور وربوبيته لعالم الوجود. إنّ الخوارج والنواصب تسـببوا فى وجود طائفة الغلاة، والغلاة بدورهم تسـببوا فى تفعيل حركـة الخوارج وتقويتها. ولهذا نرى أنّ وظيفـة علماء الإسـلام وخاصـة فى هذا الزمان والمسؤولية الملقاة على عاتقهم ثقيلـة جـدّاً، حيث ينبغى عليهم من جهـة التصـدى لأمر هدايـة الغلاة وإرشادهم إلى الصواب، ومن جهة اخرى يتحركون على مسـتوى الاجابـة عن شـبهات الوهـابيين المتعصبين وسفسـطتهم. وما أصـعب حفظ التعادل فى هـذه الامور لـدى العامـة من الناس، بل حتى فى صفوف العلمـاء حيث شوهـد البعض من السـائرين فى خـط العلمـاء حسب الظـاهر أنّهم لم يتخلصوا من منزلقات الافراط والتفريط فى الفكر الدينى (أعاذَنَا اللَّهُ تَعالى عَنِ الإفراطِ وَالتَّفرِيطِ وَهَدانا إلىَ الصِّراطِ المُستَقِيمِ). على مفترق طريقين، ص: ۱۲۹

۲- نداء آخر من كاتب شجاع آخر

كتاب: داعية وليس نبيّا

وجـاء دور كتاب «داعيـة وليس نبيّاً» حيث كتب تحت هـذا العنوان «قراءة نقديـة لمـذهب الشـيخ محمّـد عبـدالوهاب فى التكفير» وهو كتـاب تـمّ طبعـه ونشره فى الآونـة الأـخيرة وامتـد خبره إلى منـاطق واسعـة مـن الحجـاز وغيرهـا. قبـل كـل شـىء ينبغى التعرف على خصوصـيات هـذا الكتـاب ثـم التعرف على محتـواه: ۱- مؤلـف الكتـاب هو الشـيخ حسن بن فرحـان المـالكى من علمـاء أهـل السـنّة المعروفين فى العربيـة السـعودية ومن أتباع المـذهب المالكى ومن الوهابيين المعتـدلين كما يعترف هو بذلك. المؤلف المذكور يجد فى نفسه احتراماً لإمام الوهابية الشـيخ محمّد بن عبدالوهاب، ولكنّه ينتقد كلامه بشدّة بخصوص تكفير المسـلمين ويعتقد بعدم المنافاة بين هاتين المقولتين، ويقول بصـراحة: إنّى أحترم هـذه الشخصـية ولكننى فى نفس الوقت ليس فقط أحسـبه على مفترق طريقين، ص: ۱۳۰ مخطئاً فحسب بـل أجـده كثير الخطأ. ۲- إنّ المنهـج النقـدى الـذى اتبعه فى الكتـاب المـذكور هو منهـج يتميز بالأـدب والبيان المسـتدل، ولكنّه عنـدما يتعرض لنقـد مقولات زعيم الوهابيـة لا يجـد فى نفسه أيّـة شائبـة من المـداراة والتساهل بل لم يهتم للأخطار

الكبيرة المحدقة به من قِبل الوهابيين المتعصبين «وكما يقول أنّهم غلاة الوهابية». ٣- إنّ مؤلف هذا الكتاب يتمتع بإحاطة تامة بالمذاهب والمنابع الإسلامية لا سيما قدرته على استخدام كلمات الطرف المقابل فى مواجهته، والملفت للنظر أنّه يخصص فصلًا من كتابه لبيان التناقضات فى كلمات محمد بن عبدالوهاب. ۴- ويعتقد هذا الكاتب أنّ الوهابيين المتعصبين الذين استباحوا دماء الناس وأموالهم وأعراضهم مبتلون بمرض التعصب والتقليد الأعمى، وهذا بذاته يمثل خطراً على الإسلام والمسلمين فى المنطقة، ويتميز المؤلف بقدرته الفائقة على الكتابة والتأليف. ۵- وقد ركّز المؤلف معظم نقده على كتاب «كشف الشبهات» وكتاب «التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب، حيث يُعتبر هذان الكتابان من أهم كتبه، وقد اعتمد فى مصادر هذا الكتاب على «الدرر السنية». ومن نافلة القول أنّ كتاب «الدرر السنية» لمؤلفه «عبدالرحمن بن محمد بن القاسم الحنبلى» هو مجموعة من الكتب والرسائل لمحمد بن عبدالوهاب وجماعة من قادة الوهابية منذ عصر الشيخ إلى زماننا هذا. وقد توفى عام ١٣٩٢ ه‍ ق، وقد وضع ابن باز الفقيه الوهابى على مفترق طريقين، ص: ١٣١ المعروف الذى توفى فى السنوات الأخيرة، هذا الكتاب للتدريس مع كتب الدراسة اليومية للطلّاب، ويتكون هذا الكتاب من عشرة مجلدات ويعتبر مصدراً جيداً للاطلاع على أفكار الوهابيين. ۶- ومن الطبيعى أنّ يواجه هذا العالم الشجاع وكاتب «داعية وليس نبيّاً» أشكال الضغوط والتهديدات من قِبل الوهابيين المتعصبين حيث أصدروا عليه حكمهم بتكفيره (كما حكموا بتكفير العالم الفقيد ابن علوى المالكى) ولا يعلم ماذا سيكون مصيره غداً، ولكنّه قدّم بتأليفه لهذا الكتاب خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين وأثبت أنّ فتاوى التكفير وسفك الدماء ليست من الإسلام فى شىء بل هى وليدة الأفكار الزائفة والقراءات الباطلة لجماعة من الجاهلين بالعلوم والمعارف الإسلامية. ٧- يقول مؤلّف هذا الكتاب فى المقدّمة: «حقيقة لم أكن متحمساً لنشر هذه القراءة بعد أحداث سبتمبر مع أنّ القراءة كانت قبل تلك الأحداث بمدّة، لكننى رأيت الغلاة من أتباع الشيخ يتمادون بالتبرئة، ويعقدون المؤتمرات والندوات لتبرئة الشيخ رحمه اللّه من أخطاء حقيقية كان من الانصاف أن يعترفوا بخطئه فيها» «١». ٨- وقد شرع فى كتابته لهذا الكتاب بأسلوب ظريف وقال: إنّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب داعية واصلاحى وليس نبيّاً، وجعل المؤلف هذا المعنى عنواناً لكتابه المذكور. على مفترق طريقين، ص: ١٣٢ ثم أضاف: إنّما الخلاف مع فئتين من الناس: مع من يكفّره ويفسقه أو يشكك فى أهدافه، ومع من يقوم بمراجعة انتاجه وتقييم منهجه وينزله منزلة الأنبياء المعصومين. ثم يقول: إنّ كلا الفريقين مخطئان. ثم بعد هذه المقدّمة يتحرك ابن فرحان المالكى لنقد أفكار وعقائد شيخ الوهابية. ٩- ويقول المؤلف فى قسم آخر من كتابه هذا تحت عنوان: «الشيخ لم يكن وحده فى العلم والدعوة»: «يظن بعض أتباع الشيخ أنّ الشيخ كان وحيد دهره فى العلم، وأنّ البلاد الإسلامية ممّا لم يدخل فى دعوته كانت بلاد شرك وكفر وأنّ علماء تلك البلاد جهلة لا يعرفون من الدين شيئاً» «١». ثم يضيف: وللأسف أنّ هذا الأصل فى تكفير المسلمين واعتبار ديارهم ديار كفر وأنّ علماءهم كفّار فقد وجدته فى كلام الشيخ نفسه، كما سيأتى .... ثم يقول: يجب أن يعرف طالب العلم أنّ الشيخ ومن تابعه لم يصيبوا فى هذا. ويستمر المؤلف بالقول: فقد شوهد فى زمان الشيخ محمد ومن بعده من أتباعه من يَغلو فى الشيخ غُلوّاً كبيراً ويتعصب لكل ما كتبه فى رسائله وفتاواه، ممّا أدّى إلى ظهور أعمال العنف فى مناطق على مفترق طريقين، ص: ١٣٣ مختلفة من العالم فى الآونة الأخيرة وقد استندت جماعة من هؤلاء لتصحيح مسلكهم بأدلة الشيخ نفسها. ١٠- إنّ إحجام كل طلبة العلم فى المملكة تقريباً عن بيان تلك الأخطاء رغم الحاجة الماسّة للمراجعة، يجعل المراجعة على القادر «فرض عين» وهو ما دفعنى لكتابة هذا الكتاب. ومن حق كل طالب علم وكل مواطن فى المملكة أن يطرح ما يراه مخرجاً من دوامة العنف والتكفير ذاكراً الأسباب الحقيقية، مجتنباً سبُل الدعاية التى لا تضرّ إلّاالوطن وأهله على المدى الطويل وإن ظهرت لنا مصلحة قريبة. فمن حقّنا أن نحمى ديننا ووطننا من التلوث بالتكفير الظالم أو الدماء «المعصومة». وفى هذه الأيّام التى أكتب فيها هذه الخطوط لا يمرّ يوم إلّا ونسمع أخباراً تتحدث عن مزيد من العنف والقتل وسفك الدماء فى العراق حيث يذهب ضحيتها عشرات وأحياناً مئات الأبرياء كل يوم بواسطة السيارات المفخخة ومعظمها تتخذ طابعاً انتحارياً وتشير إلى أنّ الأشخاص الذين يقفون وراء هذه العمليات يعتقدون بكونهم مسلمين ويتهمون الجميع غيرهم بالكفر وإباحة دمائهم وأموالهم .. هذه بدورها نتيجة وثمرة لتعليمات مذهب الشيخ التى

تسربت من الحجاز إلى الاردن ومن الاردن إلى العراق. والملفت للنظر أنّ مؤلف كتاب «داعية وليس نبياً» يذكر فى هامش كتابه فى هذا الفصل، نقطة مهمّة، وهى أنّ الغربيين وخاصة على مفترق طريقين، ص: ۱۳۴ الامريكيين هم الذين مهدوا الأرضية لظاهرة العنف بسياستهم المخربة العسكرية والاقتصادية وبذلهم المعونة لاسرائيل الغاصبة. ويتحدّث فى قسم آخر من كتابه متسائلًا عن سبب ظاهرة التكفير التى أدّت إلى مزيد من الفوضى حتى فى داخل المملكة العربية السعودية وعن مصدر هذه الظاهرة. ويصل بالنتيجة إلى أنّ تعليمات الشيخ تمثل العامل الأساس فى ظاهرة العنف هذه، ويقول: فهذه الفوضى التكفيرية هى نتيجة طبيعية وحتمية من نتائج منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه اللّه الذى توسع فى التكفير حتى وجدت كل طائفة فى كلامه ما يؤيد وجهة نظرها. بل حركة الاخوان وحركة الحرم وأصحاب التفجير فى العليا والمحيا والحمراء والوشم ... الخ، الذين يسمهم الناس بالتكفير ليسوا غرباء عن الثقافة المحلية، بل لو قلنا إنّهم نتيجة لمنهج التكفير لما بعدنا. ومن شاء فليراجع مصادر هؤلاء وسيعرف هذا تماماً» «۱». على مفترق طريقين، ص: ۱۳۵

موجز من كتاب «داعية وليس نبيّاً»

اشارة

بعد هذه المقدّمة نستعرض أصل الكتاب بشكل موجز. إنّ مؤلف هذا الكتاب هو «حسن بن فرحان المالكى الوهابى» الذى تعرض فى كتابه هذا لنقد كلمات وعقائد شيخ الوهابيين فى مجال فتواه بتكفير المسلمين واتهامه لغير الوهابيين بالشرك والكفر وقد جعل كتابه هذا فى خمسة فصول: الفصل الأول: يتعرّض فيه لنقد كتاب «كشف الشبهات» الذى يعدّ من أهم وأشهر كتب محمد بن عبدالوهاب، وينطلق فى الفصل الثانى لنقد سائر كتب الشيخ فى مسألة الشرك والتوحيد. أمّا فى «الفصل الثالث» فيستعرض المؤلف هذه المسألة المهمّة، وهى هل أنّ الشيخ عدل عن تكفير المسلمين أم لا؟ ويشير فى هذا الفصل إلى قسم عظيم من تناقضات الشيخ ويتعرض لنقدها بصورة علمية. وفى «الفصل الرابع» يبحث عن موضوع مهم آخر، وهو: هل أنّ أتباعه يتحركون فى خط تكفير المسلمين من خلال التقليد الأعمى على مفترق طريقين، ص: ۱۳۶ للشيخ وتصحيح أفكاره أو أنّهم عملوا على نقد نظرات الشيخ؟ وأخيراً يتعرض المؤلف فى «الفصل الخامس» لنقد نظرات أعداء الشيخ ويميز بين المتشددين والمعتدلين ويضع نفسه فى طائفة المعتدلين من الوهابيين. واللطيف أنّه يقول فى الخاتمة: ثم ليس فى نهاية الأمر أيّة خطورة إذن أنّ خلاصة هذا البحث هو القول بأنّ «الشيخ رحمه اللّه» أخطأ فى التكفير. والاعتراف بهذه المسألة عند أهل الانصاف أمر سهل ميسور إن كانت براهينه صحيحة، فلم ينهدم الدين بهذا، ولم تطلع الشمس من مغربها «۱». ونحن بدورنا نضيف: بل على العكس من ذلك فالنقد يبعث على مزيد من غربلة الفكر الدينى ويؤدى إلى تقوية دعائم الفكر الدينى وتطهيره من مظاهر العنف والوحشية، وعلى الأقل أنّ هذا النقد بإمكانه احلال الوهابيين المعتدلين محل الوهابيين المتعصبين. وبهذا التوضيح نستعرض موجزاً لكل فصل من فصول الكتاب المذكور.

الفصل الأول: نقد (كشف الشبهات)

اشارة

بالرغم من أنّ كتاب كشف الشبهات، وهو من أشهر كتب الشيخ، على مفترق طريقين، ص: ۱۳۷ كتاب صغير جدّاً «فى ۷۰ صفحة تقريباً» فانّ ابن فرحان كتب فى نقده ۳۳ إشكالًا مهماً وانتقد كلمات زعيم الوهابية وخاصة فى مسألة «التكفير»، وأظهر عجبه من كثرة الأخطاء وكيف أنّ علماء الوهابية لم يلاحظوا هذه الاخطاء والاشتباهات فى كلمات الشيخ ومروا عليها مرور الكرام. ثم أضاف: إنّهم

لو تعرضوا لـذكر بعض هذه الأخطاء لما وجدت مبرراً لكتابة هذا الكتاب، ولكن ماذا أصنع تجاه سكوت الجميع؟ ولا بأس بأن نشير هنا إلى أول وآخر إشكال من هذه الإشكالات الثلاثة والثلاثين.

الغلو تجاه الصالحين

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بداية كتابه «كشف الشبهات»: إنّ التوحيد هو إفراد اللّه بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم اللّه تعالى إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله اللّه إلى قومه لما غلو في الصالحين. ويقول «ابن فرحان»: أقول: هـذا الكلام أوله صحيح، لكنّ آخره فيه نظر وقصور شديد وتقعيد للتكفير. فإنّ اللّه تعالى أرسل نوحاً عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة اللّه وترك الشرك، فقد كانوا يعبدون هـذه الأصنام، وليس فعلهم مجرّد غلو في الصالحين، فهـذه اللفظة واسعة وتحتمل، غالباً، الخطأ والبدعة عند اطلاقها، وقد يصل الغلو إلى الكفر وهو النادر، فتقبيل اليد قد يعتبر من على مفترق طريقين، ص: ١٣٨ الغلو، والتبرك بالصالحين قد يعتبر غلواً، ... ولكن هـذا ونحوه يعدّ من الاخطاء أو البدع وليس شركاً، وقد يوجد عند عوامهم أو علمائهم غلو في الصالحين ولكن هـذا لا ـ يبرر لك تكفيرهم ولا ـ قتالهم. ويجب أن يعرف القارىء الكريم أنني مع الشيخ رحمه اللّه في انكار البدع والخرافات والاخطاء والممارسات التي يفعلها بعض المسلمين كالغلو في الصالحين ... ولكن إنكاري لهذه البدع والخرافات لا يجعلني أحكم على مرتكبها بالشرك والخروج من ملة الإسلام» «١». والخلاصة، إنّ اتهام الناس بالشرك بل اتهامهم ب «الشرك الأكبر» وهو الشرك الذي يتسبب في استباحة الأموال والنفوس لا يمثل اتهاماً صغيراً تصحّ نسبته لأيشخص بمجرّد الاعتقاد ببعض الخرافات والممارسات الخاطئة التي يفعلها بعض المسلمين تجاه أولياء الدين. ويتعجب «ابن فرحان» من أنّ المخالفين للغلو من أتباع الشيخ تورطوا أنفسهم بالغلو اتجاه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وذهبوا إلى تنزيهه من الخطأ، بل قال عنه أحدهم بأنّه «شيخ الوجود» «٢» وهذا اللقب لا يصح اطلاقه حتى بالنسبة للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله. وفي الإشكال الأخير من هذه الإشكالات الثلاثة والثلاثين على كتاب الشيخ، يقول ابن فرحان: إنّ الشيخ يقول في الصفحة ٧٠: لا على مفترق طريقين، ص: ١٣٩ يستثني من الكفر إلّاالمكره. «ويشير بهذا الكلام إلى الآية الشريفة: «إلّا مَن اكره ...»، يقول ابن فرحان في جوابه: وهذا القصر فيه نظر، فإنّ المضطر والخائف والمتأول والجاهل، لا ـ يجوز تكفيرهم، (في حين قبولهم لاـصول الإسلام) فهؤلاء معذورون بمقتضى الآيات القرآنية والروايات الشريفة. ثم يضيف: وهذه من عيوب منهج الشيخ، فهو يعتمد على آية واحدة أو حديث واحد، ويترك ما سواه، وهذا خلل علمي.

الفصل الثاني: بعض الإشكالات على آراء الشيخ

اشارة

ويستعرض المؤلف في «الفصل الثاني» من كتابه بعض الإشكالات على آراء الشيخ في كتابه «الدرر السنية» ويذكر أربعين مورداً من الأخطاء التي وقع فيها الشيخ في هذا الكتاب، منها: أنّه طبقاً لما ورد في كتاب «الدرر السنية» أنّ علماء نجد وقضاتها «١» لا يعرفون «لا إله إلّااللّه» لا يفرقون بين دين محمد بن عبداللّه صلى الله عليه و آله ودين «عمرو بن لحي» الذي وضعه للعرب «وهو عابد وثن معروف في الجاهلية». بل إنّهم يرون أنّ دين عمرو بن لحي أفضل وأصح من دين محمد!! وبهذا يرى محمد بن عبدالوهاب تكفير جميع علماء وقضاة أهل على مفترق طريقين، ص: ١٤٠ نجد وشيوخهم وشيوخ شيوخهم، فكيف بالعوام. وهذا كلام باطل لا يقرّه منصف، ونسأل اللّه أن يغفر للشيخ هذا «التكفير الصريح» لعلماء نجد رحمهم اللّه. ومن جملة الموارد التي أمعن فيها هؤلاء في تكفيرهم لسائر

المسلمين موردان هما: ١- تكفير الشيعة: حيث يذكر الشيخ أنّ من شك فى كفرهم فهو كافر «١». ويقول ابن فرحان: مع أنّ ابن تيمية على غلوه ونصبه إلّاأنّ له كلاماً صريحاً بأنّ هؤلاء «الشيعة» مبتدعة مسلمون وليسوا كفّاراً «٢». ونحن نضيف: إنّ ثمرة هذه الفتاوى غير الإنسانية وغير الإسلامية هو ما نراه من سفكك دماء الشيعة «الذين شيّدوا دعائم التوحيد فى الإسلام» ونهب أموالهم فى مختلف المناطق واستمرار هذه الظاهرة لحد الآن. ٢- يقول الشيخ: إنّ كل من سبّ صحابياً من أصحاب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فهو كافر، فى حين أنّه (حسب تعبير ابن فرحان المالكى) غير صحيح، فقد كان معاوية يسبّ علياً رضى الله عنه كما ورد فى صريح «صحيح مسلم» «٣» (وبقى معاوية يسبّ الإمام علياً على المنابر على مفترق طريقين، ص: ١۴١ لعشرات السنين) ومع هذا أليس معاوية مسلماً «١». النقطة الملفتة للنظر، أنّ هذا العالم السنى المالكى يقول فى كتابه هذا: ومع هذا كله نجد الشيخ رحمه اللّٰه كثيراً ما تنصل من التكفير ويدفعه عن نفسه، ويقول: «وأمّا ما ذكر الاعداء عنّى أنّى اكفّر بالظن وبالموالاة أو اكفر الجاهل الذى لم تقم عليه حجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين اللّٰه ورسوله» «٢». يقول المالكى: حتى مع هذا التنصل فهذه العبارة فيها تكفير ضمنى لمن ينكر عليه التكفير، لأنّ من «أراد تنفير الناس عن دين اللّٰه ورسوله فهو كافر» على منهج الشيخ لا منهج غيره، فالتكفير إن لم يختف فى مثل هذه المواطن من ا لدفاع عن النفس من تهمة التكفير فمتى يختفى؟ «٣»

تناقض فى كلمات الشيخ

ويستعرض ابن فرحان بعد هذا الكلام التناقضات الصريحة الاخرى فى كلام شيخ الوهابيين، ويقول: لقد نسبوا إلى الشيخ اشتباهات وأخطاء كثيرة وقد دفعها عن نفسه، والحال أنّها موجودة على مفترق طريقين، ص: ١۴٢ فى فتاواه. ثم يذكر خمسةً وعشرين مورداً من هذه الامور المنسوبة إليه مع ذكر المصدر لها، ومن جملة هذه الامور التى ينكرها الشيخ: ١- إنكاره أنّه يبطل كتب المذاهب الأربعة. ٢- إنكاره أنّه يكفّر من توسل بالصالحين. ٣- أنكر أنّه يقول لو قدر على قبة رسول اللّٰه لهدمها، (كما صنعوا بقبور أئمة أهل البيت عليهم السلام وسائر الأولياء المدفونين فى البقيع). ۴- أنكر أنّه يحرم زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله. ۵- أنكر أنّه يكفّر جميع الناس إلّامن اتّبعه. فى حين أنّ هذه الامور موجودة بصراحة أو بشكل ضمنى فى كلماته وكتبه، وهذا من التناقض العجيب.

الفصل الثالث: المسيرة تتواصل

ويقول حسن بن فرحان المالكى فى الفصل الثالث من كتابه «داعية وليس نبيّاً»: وجاء تلاميذ الشيخ ومقلِّدوه رحمهم اللّٰه وسامحهم ليواصلوا التكفير، فقالوا بتكفير من وافق أهل بلده فى الظاهر وحكم بكفر الكثير من قبائل العرب وغير العرب وكفر الكثير من أتباع المذاهب الإسلامية وجماعة من علماء المسلمين على مفترق طريقين، ص: ١۴٣ المعروفين «١». ومن ذلك: ١- التصريح بكفر أهل مكّة والمدينة (الذين لم يقبلوا بمذهب الوهابية فى تلك الفترة). «٢» ٢- تكفير من دخل فى الدعوة (أى المذهب الوهابى) وادعى أنّ آباءه ماتوا على الإسلام، يستتاب فان تاب وإلّا ضربت عنقه! وصار ماله فيئاً للمسلمين، وإن كان قد حج فعليه اعادة الحج لأنّ حجّه قبل انضمامه للدعوة كان أيّام شركه ومن شروط الحج الإسلام. «٣» ٣- تكفير الدولة العثمانية وأنّ من لم يكفّرها فهو كافر. «۴» ۴- تكفير الاشاعرة وأنّهم لا يعرفون معنى الشهادتين «۵» وكذلك يرى تكفير المعتزلة. «۶» ۵- تكفير مانعى الزكاة وأنّهم خارجون عن الإسلام. «٧» ۶- تكفير الذين يستخدمون الخدم الكفّار فى بيوتهم ومكاتبهم وأشغالهم، ومع ذلك هم تاركون لكثير من الواجبات فاعلون لكثير من على مفترق طريقين، ص: ١۴۴ المحرمات، لا يعرفون من الشهادتين إلّاالألفاظ، فهم مثل هؤلاء كفّار مرتدون، ومن شك فى ردّتهم عن الإسلام فهو لا يعرف الدين ولن يشم رائحة العلم النافع. «١» وبعد أن يورد حسن بن فرحان ٢٧ مورداً من الموارد التى أفتى أتباع الشيخ فيها بتكفير المسلمين يقول: «وبعد هذا الغلو الذى لم أجد له مثيلًا، يعيد كثير من العلماء والدعاة أسباب التكفير

والعنف لسید قطب، والمودودی، والاخوان المسلمین، وحزب التحریر! صحیح أنّ فی هؤلاء غلواً فی الجانب السیاسی، لکن لا یبلغ غلو الوهابیة فی الجوانب کلها سیاسیة وعقیدة وفقهیة وثقافیة واجتماعیة، والانصاف دین» «۲». ثم یضیف قائلًا: تأملوا العبارات السابقة، هل بقی شیء لتنظیم القاعدة والتیارات الجهادیة لم یقل به الوهابیون؟»» .ویضیف ابن فرحان فی ختام هذا البحث: إنّ من نتائج تشدد الشیخ فی التکفیر أنّ أتباعه لم یلبثوا من بعده إلّاسنوات قلیلة حتی کفّر بعضهم بعضاً وسبی بعضهم نساء بعض «۴» ولهذا أمثلة مشهورة، ذکر ابن فرحان نماذج منها «۵». فی مقابل هذه الامور المظلمة فی تاریخ هذه الطائفة، یشیر المؤلف إلی نقطة قوّة فی ختام هذا الفصل، ویقول: إنّ الشیخ عبداللّه علی مفترق طریقین، ص: ۱۴۵ بن «الشیخ محمد بن عبدالوهاب» (مؤسس الوهابیة) یری بعد سقوط الدرعیة «أحد مدن الحجاز» والذی رحل إلی مصر وتخلص من تلک الأجواء المغلقة والملوثة بالتعصب المقیت وسلک فی خط الاعتدال یری أنّ الذی علیه المحققون من أهل العلم هو عدم تکفیر أهل البدع کالخوارج والرافضة والقدریة والمرجئة لأنّ التکفیر لا یکون إلّا بانکار ما عُلِمَ بالدین بالضرورة أو ارتکاب شیءٍ مجمع علی کفر من ارتکبه» «۱» «۲» (لا بمجرّد البدعة).

الفصل الرابع: کلمات معارضی الشیخ

اشارة

ویتعرض مؤلف الکتاب فی «الفصل الرابع» إلی کلمات خصوم الشیخ ومعارضیه من الذین أفتی الشیخ وجمیع الوهابیین بتکفیرهم ثم تحرک علی مستوی الدفاع عنهم وقال: إنّ هذه الفتاوی بالتکفیر لا اعتبار لها، بل یجب الاعتراف بخطئهم بخصوص مسألة التکفیر هذه. ویذکر ابن فرحان فی هذا الفصل ۲۲ عالماً من علماء أهل السنّة المعروفین وأغلبهم من علماء أهالی نجد ومکة وبعضهم من علماء دمشق والعراق وتونس ومراکش والذین خالفوا الشیخ فی أفکاره وآرائه وقد کتب بعضهم کتباً فی ردّه وابطال أفکاره «۳». علی مفترق طریقین، ص: ۱۴۶ ومن هنا یتبین أنّ أکثر معارضیه هم أهالی تلک المنطقة أو من معارفه وأقربائه!

أهم الاتهامات الموجّهة لزعماء الوهابیة

ویذکر ابن فرحان فی ذیل البحث السابق أهم الإشکالات التی أوردها علماء أهل السنّة المعروفین علی الشیخ، وتتلخص فی أربعة امور: ۱- تکفیر المسلمین. ۲- ادّعاء النبوة (بلسان الحال لا بلسان القال). ۳- القول بالتشبیه والتجسید للذات المقدّسة. ۴- انکار کرامات الأولیاء. ثم یقول: إنّ الأهم من هذه الإشکالات، هی مسألة التکفیر ثم مسألة القتال المبنی علی التکفیر، فهاتان تهمتان علی الاسلام و المسلمین واضحتان لمن أراد الانصاف. ثم ینقل ابن فرحان عن «الشیخ أحمد زینی دحلان»، العالم والکاتب المعروف فی کتابه «دعوی المناوئین»، قوله عن الوهابیین: «لا یعتقدون موحداً إلّامن تبعهم فیما یقولون» «۱». وینقل کذلک عن عالم مشهور آخر وهو «الزهاوی»، لو سأل سائل عمّا تمذهبت به ما هو؟ وعن غایته ما هی؟ فقلنا فی جواب کلا علی مفترق طریقین، ص: ۱۴۷ السؤالین: هو تکفیر المسلمین، لکان جواباً علی اختصاره تعریفاً کافیاً علی مذهبه» «۱». ویسعی المؤلف «حسن بن فرحان» لتبرئة الشیخ من الاتهامات الثلاثة الاخری ولکنّه یقبل بالاتهام الأول ویؤکده، وهذا الاتهام لیس اتهاماً بسیطاً وهیناً، فالقرآن الکریم یؤکد بصراحة تامة علی عدم جواز اتهام المسلمین حتی من یتظاهر بالإسلام (مادام لم ینکر ضرورات الإسلام) ویقول: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَی إِلَیْکُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیَاةِ الدُّنْیَا ...» «۲». فهل یبقی مع تصریح هذه الآیة الشریفة مورد لتکفیر المسلمین فی مسألة التوحید والشرک لاسیما مع وجود الملابسات فی هذه المسألة؟ ویقول تعالی فی آیة اخری: «وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِیهَا

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً» «۳». فهـذه الآيـة الشـريفة بسـياقها الشديد تبعث الرجفة فى قلب كل إنسان مؤمن حيث تهـدد بغضب اللّه تعـالى ولعنته وخلود الشـخص الـدائم فى نار جهنم، ولا نرى فى تهديـدات القرآن الكريم عبارة أشـدّ صـراحة وقوة بالنسـبة لسائر الـذنوب الكبيرة كما هو فى مورد قتل النفس. على مفترق طريقين، ص: ۱۴۸ إنّ التأكيـد على الخلود فى العذاب الإلهى الـذى يختص بالكفّار والمعانـدين للحق، يشـير إلى أنّ القاتل حتى لو كان مسـلماً فإنّه يخرج من هـذه الـدنيا فاقداً للإيمان ليتحقق فى حقّه الوعيـد بـالخلود فى نـار جهنّم. والآـن تصور كيف يكون حـال من يقتـل مؤمنـاً مصـلياً وصائمـاً وملتزمـاً بجميع الآداب والأخلاق الإسـلامية، بذريعة واهية، ويستولى على زوجته وينهب أمواله، ولا يقتصر الأمر على مؤمن واحد بل مئات وآلاف المؤمنين الأبرياء من النساء والرجال والأطفال والشـيوخ والشبّان، ويسـمى ذلك، دين التوحيـد المحمـدى ويرى أنّه من أهل النجاة (نعوذ باللّه العظيم). فى حين أنّ مثل هـذا الشـخص هو مصـداق الآية الشـريفة: «وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَايَهْتَدُونَ» «۱». من حسن الحظ أنّ الكثير من أتباع هذا المذهب تنبهوا أخيراً إلى خطئهم وأذعنوا لهذه الحقيقة وهى أنّ تكفير المسلمين يعدّ ذنباً عظيماً حتى لو كان من أهل البدع فى نظرهم، ونرجو أن تكون هذه البادرة طليعة مباركة لتهذيب معالم الدين الإسـلامى من مظاهر الارهاب والعنف واظهار الجانب الإنسانى والأخلاقى فى الإسلام إن شاء اللّه، حيث نرى نماذج من اليقظة والعودة إلى الصواب فى الكتابين المذكورين «مفاهيم يجب أن تصـحّح» و «داعيـة وليس نبيّاً». على مفترق طريقين، ص: ۱۴۹ وفى الختام نجد من المناسب جدّاً اسـتعراض الإعلان المهم لهيئـة كبار العلماء فى المملكـة العربيـة السـعودية وهم من الوهابيين المعتـدلين. وقد طبع هذا الإعلان فى صـحف كثيرة، ولكننا ننقله عن كتاب «معجم طبقات المتكلّمين».

آخر الكلام بيان مِن هيئة كبار العلماء فى السعودية

بيان مِن هيئة كبار العلماء

الحمـد للّه، والصـلاة والسـلام على رسول اللّه، وعلى آله وصـحبه ومن اهتـدى بهداه، أمّا بعد: فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء فى دورته التاسـعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ ۲/ ۴/ ۱۴۱۹ ه، مـا يجرى فى كثير من البلاد الاسـلامية وغيرها من التكفير والتفجير، ومـا ينشأ عنه من سـفك الـدماء، وتخريب المنشآت، ونظراً الى خطورة هـذا الامر، وما يترتّب عليه من إزهاق أرواح بريئـة، وإتلاف أموال معصومـة، وإخافـة للناس، وزعزعـة لأمنهم واسـتقرارهم، فقـد رأى المجلس إصدار بيان يوضِّح فيه حكم ذلك نصـحاً للّهولعباده، وابراء للذمة، وإزالة للبس فى المفاهيم لدى مَن اشتبه عليه الأمر فى ذلك، فنقول و باللّه التوفيق: اولًا: التكفير حكم شرعى، مردّه الى اللّه ورسوله، فكمـا أنّ التحليل والتحريم والإيجاب، إلى اللّه ورسوله، فكـذلك التكفير، وليس كلّ ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر، مخرجاً عن الملّة. على مفترق طريقين، ص: ۱۵۴ و لمـا كان مَرَدّ حكم التكفير إلى اللّه ورسوله لم يَجُز أن نُكَفِّر إلّا من دلّ الكتاب والسنَّة على كفره دلالة واضـحة، فلا يكفى فى ذلك مجرّد الشبهة والظن، لما يترتّب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحـدود تُـدْرأ بالشـبهات، مع أن ما يترتّب عليها أقلّ ممّا يترتّب على التكفير، فالتكفير أولى أن يـدرأ بالشـبهات؛ ولـذلك حـذر النبى من الحكم بالتكفير على شـخص ليس بكافر، فقال: «أيّما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقـد باء بها أحـدهما، ان كان كمـا قال وإلّا رجعت عليه». وقـد يَرِد فى الكتاب والسنّة ما يُفهم منه أن هـذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مـانع يمنع من كفره، وهـذا الحكم كغيره من الاحكـام التى لا تتمّ إلّابوجود أسـبابها وشـروطها، وانتفاء موانعها كما فى الإرث، سببه القرابة- مثلًا- وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يُكره عليه المؤمن فلا يكفر به. وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبـة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعـدم القصد، كما فى قصّة الذى قال: «اللهم أنت عبدى وأنا ربك» أخطأ من شدّة الفرح. والتسرُّع فى التكفير يترتّب عليه أمور خطيرة من اسـتحلال الـدم والمال، ومنع التوارث، وفسـخ النكاح، وغيرها ممّا يترتّب على

الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة. وجملة القول: إنّ التسرع فى التكفير له خطره العظيم؛ لقول اللّه عزّ وجلّ: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ على مفترق طريقين، ص: ۱۵۵ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» «۱». ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصّة والعامّة، وتفجير المساكن والمركبات، و تخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرّمة شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما فى ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين فى مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامّة التى لا غنى للناس فى حياتهم عنها. و قد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم وحرم انتهاكها، وشدّد فى ذلك وكان من آخر ما بلغ به النبى أمّته فقال فى خطبة حجّة الوداع: «إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا». ثم قال: «ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد». متّفق عليه. وقال: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله و عرضه». وقال عليه الصلاة و السلام: «اتّقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة». وقد توعّد اللّه سبحانه من قتل نفساً معصومة بأشدّ الوعيد، فقال سبحانه فى حقّ المؤمن: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً على مفترق طريقين، ص: ۱۵۶ فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً» «۱». وقال سبحانه فى حقّ الكافر الذى له ذمّة، فى حكم قتل الخطأ: «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ» «۲». فاذا كان الكافر الذى له أمان إذا قتل خطأ، فعليه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمداً، فان الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر. وقد صحّ عن رسول اللّه أنّه قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنّة». ثالثاً: إنّ المجلس اذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب اللّه وسنّة رسوله وخطورة اطلاق ذلك، لما يترتّب عليه من شرور وآثام، فإنّه يعلن للعالم أنّ الإسلام برىء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجرى فى بعض البلدان من سفك الدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامّة والخاصّة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامى، والإسلام برىء منه، وهكذا كلّ مسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر برىء منه، وإنّما هو تصرّف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالّة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدى الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنّة، المستمسكين بحبل اللّه المتين، وإنّما هو محض على مفترق طريقين، ص: ۱۵۷ إفساد وإجرام تأباه الشريعة و الفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه، محذّرة من مصاحبة أهله ... رئيس المجلس عبدالعزيز بن عبداللّه بن باز صالح بن محمد اللحيدان عبدالله بن عبدالرحمن البسام عبداللّه بن سليمان بن تقنيع عبدالعزيز بن عبداللّه بن محمد آل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ناصر بن حمد الراشد د. عبداللّه بن محمد بن ابراهيم آل‌الشيخ محمد بن عبداللّه السبيل محمد بن سليمان البدر عبدالرحمن بن حمزة المزروقى راشد بن صالح بن خنين د. عبداللّه بن عبدالمحسن التركى عبداللّه بن عبدالرحمن الغديان د. عبدالوهاب بن ابراهيم أبوسليمان محمد بن ابراهيم بن جبير محمد بن زياد آل سليمان د. صالح بن فوزان الفوزان د. صالح بن عبدالرحمن الأطرم حسن بن جعفر العتمى د. بكر بن عبداللّه ابوزيد

تحليل موجز عن البيان المذكور

هذا البيان، الذى أقرّه أعلى مرجع مذهبى للوهابية فى العربية السعودية «عبدالعزيز بن عبداللّه بن باز» وعشرون نفراً من العلماء من الطراز الأول وقبل وفاة هذا العالم الوهابى المعروف بقليل، يتضمن على مفترق طريقين، ص: ۱۵۸ نقاطاً مهمّة نشير إلى بعضها: ۱- رغم أنّ من المناسب أن ينشر مثل هذا البيان قبل الحوادث الدامية التى ذهبت ضحيتها النفوس البريئة وهتك الأعراض ونهب الأموال، ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار دفع الضرر حسن فى كل حال فإنّ هذا البيان يستحق كل تقدير وشكر ويمثّل فى مقابل الجماعات الارهابية التى تدعى الامتثال لأوامر الشرع، حجة قوية جدّاً حيث اتضح لجميع المسلمين أنّ هؤلاء الذين يشير إليهم هذا البيان لا يتحركون من موقع اتباع التعاليم الإسلامية ولا يسيرون فى خط التوحيد والقيم السماوية بل من موقع اتباع الأهواء والشهوات، وبكلمة:

إنّ الإسلام بریء من أعمال هؤلاء. ۲- إنّ هذا البیان فتح الباب عملًا لنقد أفکار وعقائد الشیخ محمد بن عبدالوهاب بحیث إنّ الوهابیین أنفسهم بإمکانهم نقد أفکاره مع احترامهم له وبالتالی ینضوون تدریجیاً تحت لواء الوهابیین المعتدلین الذین یقیمون علاقات جیدهٔ مع سائر المسلمین فی العالم. ۳- إنّ هذا البیان، ومن خلال سیاق عباراته ومضمون کلماته، یعلن لجمیع الوهابیین المتعصبین أنّ مرحلهٔ تکفیر المسلمین قد ولت ولا ینبغی بعد الآن اتهام أی شخص بالکفر لمجرّد عدم موافقته لأفکارهم واستباحهٔ دمه وماله وعرضه، فمثل هذا العمل یمکنه أنّ یؤدی إلی کفر العامل به. ۴- إنّ هذا البیان قدّم خدمهٔ کبیرهٔ للعالم الإسلامی وعمل علی علی مفترق طریقین، ص: ۱۵۹ إصلاح الصورهٔ الموحشهٔ التی رسمها هؤلاء الارهابیین عن الإسلام أمام العالم أجمع وبیّن أنّ المسلم الواقعی بریء من هذه الأعمال، وإن کانت إزالهٔ جمیع الآثار السلبیهٔ لهذه الأعمال الارهابیهٔ تحتاج لسنوات مدیدهٔ ولیس من الیسیر نسیانها وخاصهٔ أنّها أعطت ذریعهٔ قویهٔ لأرباب الکنیسهٔ والصهانیهٔ لیظهروا الإسلام للعالم بصورهٔ مشوههٔ ومخیفهٔ، نعوذ باللّه من جهل الجاهلین ونسأل اللّه تعالی الهدایهٔ والنجاهٔ للجمیع من مکائد الشیطان. علی مفترق طریقین، ص: ۱۶۱

توصیهٔ أخویهٔ لعلماء الحجاز

هنا نتقدم بتوصیهٔ أخویهٔ لجمیع علماء المذهب الوهابی الذین سلکوا فی خط الاعتدال والانصاف بضرورهٔ استغلال الفرصهٔ فی أجواء هذه الظروف التاریخیهٔ لإعادهٔ النظر فی اصول المذهب الوهابی، وبذلک یساهمون فی ردم الهوهٔ العظیمهٔ التی حدثت بینهم وبین سائر المسلمین فی العالم وسد الثغرهٔ التی یستغلها الأعداء للنفوذ إلی واقع المسلمین والفکر الإسلامی. نحن نوصی هؤلاء الاخوهٔ من موقع المحبّهٔ والمودهٔ بما یلی: ۱- أن یقوموا بشجب اتهام المسلمین بالشرک والکفر بسبب بعض المسائل الاجتهادیهٔ، ویضعوا نصب أعینهم الدستور القرآنی الشریف: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَی إِلَیْکُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ...» «۱» . ویوصوا جمیع أتباعهم بذلک. ۲- أن یستنکروا کل مظاهر العنف والارهاب الدینی کالاغتیالات علی مفترق طریقین، ص: ۱۶۲ والتفجیرات الوحشیهٔ فی العراق والباکستان وأفغانستان والعربیهٔ السعودیهٔ. هذا العنف هو الذی أدّی مضافاً إلی عملیات التخریب الواسعهٔ وسفک دماء المسلمین الأبریاء من النساء والرجال والأطفال من السنّهٔ والشیعهٔ، إلی تشویه سمعهٔ الإسلام فی سائر نقاط العالم بحیث أضحت مظاهر العنف والارهاب أدوات جیدهٔ بید الأعداء یستغلونها ضد الإسلام والمسلمین وبذلک یتمّ اجهاض جمیع الاتعاب والطاقات التی بذلها علماء الإسلام والمبلغون والکتّاب فی سبیل نشر الإسلام ورفع رایهٔ القرآن، أجل فجمیع هذه المظاهر الارهابیهٔ هی مصداق إهلاک الحرث والنسل الوارد فی القرآن الکریم. ۳- أن یفتحوا الحوار المنطقی والتبادل الثقافی والأخوی بین المذاهب الذی یقوم علی أساس الاحترام المتقابل بعیداً عن کل أشکال الاهانهٔ والاتهام بالشرک والجهل، ویجلسوا مع سائر علماء الإسلام علی طاولهٔ واحدهٔ لبحث المسائل الاختلافیهٔ، ویکونوا مصداق «الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ...» «۱» . ۴- أن یفتحوا الأبواب الفکریهٔ والجغرافیهٔ أمام الکتب العلمیهٔ والمنطقیهٔ للمذاهب الإسلامیهٔ الاخری، ولا یتوهموا وجود خطر من هذا الانفتاح الفکری، بل علیهم أن یتحرکوا علی مستوی التبادل العلمی والثقافی مع الحوزات العلمیهٔ فی سائر البلدان الإسلامیهٔ. علی مفترق طریقین، ص: ۱۶۳ ۵- العمل علی ازالهٔ جدار سوء الظن وعدم الاعتماد المتقابل بینهم وبین سائر المسلمین فی العالم وأن یفتحوا المجال للطلّاب لتبادل المعارف بین الحوزات العلمیهٔ، ویعلنوا عن استعدادهم للمشارکهٔ فی المؤتمرات الدینیهٔ التی تقام فی مناطق مختلفهٔ من العالم الإسلامی لبحث قضایا إسلامیهٔ مختلفهٔ. ۶- تحذیر أتباعهم من مرض الدوغماتیهٔ والجزمیهٔ، بمعنی رؤیهٔ اجتهاداتهم فی الاصول والفروع أنّها تمثل الإسلام الحقیقی، وأمّا غیرها فهی کفر وبدعهٔ وضلالهٔ، والاصغاء للخطاب القرآنی فی قوله تعالی: «وَمَا أُوتِیتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِیلًا» «۱». عندما نوفق للعمل بهذه الاصول الستهٔ ونتحرک علی مستوی تحقیقها فی أرض الواقع والممارسهٔ، نأمل حینئذٍ بتقویهٔ دعائم الوحدهٔ فی صفوف المسلمین، وبالتالی یتحقق للمسلمین جمیعاً الاعتصام بحبل اللّه تعالی، و «لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ ...» «۲». وسنبقی بهذا الأمل، واللّه المستعان. نهایهٔ الکتاب محرّم الحرام ۱۴۲۷ ه ق ناصر مکارم الشیرازی علی مفترق طریقین، ص: ۱۶۵

فهرسة الآيات

فهرسة الروايات

فهرسة الاشخاص و القبايل

فهرسة الأماكن

فهرسة المصادر

۱– القرآن الكريـم. ۲– نهج البلاغة. ۳– الإذاعات العالمية المعروفة. ۴– الإسلام فى القرن العشرين. ۵– البحر الرائق لابن نجيم المنصرى. ۶– الخصال للشيخ الصدوق. ۷– الدرر السنية. ۸– الذريعة. ۹– الصحيح من السيرة. ۱۰– العقد الفريد. ۱۱– الغدير. ۱۲– الفجر الصادق– جميل الصدقى الزهاوى. ۱۳– الكافى. ۱۴– الكامل لابن الأثير. ۱۵– المحاسن. ۱۶– تاريخ الطبرى. ۱۷– تاريخ المملكة السعودية. على مفترق طريقين، ص: ۱۷۸ ۱۸– تاريخ الوهابيين– مرحوم فقيهى. ۱۹– تاريخ نجد– آلوسى. ۲۰– جزيرة العرب فى القرن العشرين. ۲۱– دائرة المعارف الكويتية. ۲۲– دائرة المعارف ENCARTA. ۲۳– داعية و ليس نبياً. ۲۴– سفينة البحار. ۲۵– سنن ابن ماجة. ۲۶– سنن البيهقى. ۲۷– سير إعلام النبلاء. ۲۸– شجرة طوبى للشيخ محمد مهدى الحائرى. ۲۹– شرح كشف الشبهات للعثيمين. ۳۰– شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد. ۳۱– عنوان المجد فى تاريخ نجد. ۳۲– غنائم الأيام. ۳۳– فتاوى اللجنة الدائمة البحوث العلميّة و الإفتاء. ۳۴– فيض القدير للمناوى. ۳۵– قصة الحضارة، ويل دورانت. ۳۶– كشف الارتياب– سيد محسن الامين. ۳۷– مجلة مكتب الإسلام الفصلية. ۳۸– مذهب الوهابية. ۳۹– مستدرك. ۴۰– مسند أحمد. على مفترق طريقين، ص: ۱۷۹ ۴۱– معجم الطبرانى. ۴۲– معرفة الفرق و المذاهب الإسلامية. ۴۳– مفاهيم يجب أن تصحح. ۴۴– مفردات الراغب. ۴۵– ميزان الحكمة. ۴۶– نهاية عمر الماركسية.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – عليهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ عليهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة:

التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدة ً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی. – من الأنشطة الواسعة للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی " القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فَرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹